

# ميثاق العهد

في مسالك التعرف إلى الله

الدكتور فريد الأنصاري

فيا أيها العبد الخائر الحزين!.. ذكر الله هو باب الفرج  
تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين  
يَدَي هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها الرقراق  
بنفسك إن شئت!

فاخرج أولاً من ظلمات ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ  
فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾  
(الكهف: 101) وادخل بصيرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى  
لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37).  
فَأَيُّظْ قَلْبُكَ! وَالْقُرْآنُ سَمْعُكَ! ثم شاهد معي فإنما  
كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد -أولاً- لتلقي آيات القرآن كلاماً من عند  
الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ  
يتنصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً، يلقي كلمات  
النبوة بلاغا عن الله فتأدب بأدب مجالس النبوة وأنصت!  
اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ  
لها الآن فترة للتدبر والتفكير! حتى تستطيع الحضور،  
وتكون من المبصرين!

مطبعة التوسيع  
Imp. Indo-Print  
Tel/Fax: 055 641724 - P.O.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

## مقدمة

إن الحمد لله حمده، ونستعينه، ونستغفره،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا،  
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي  
له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة،  
وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق  
جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى،  
وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها،  
وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة  
في النار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رب العزة جل جلاله:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ  
إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7)

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25).

وقال رسول الله ﷺ:

﴿تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَغْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ!﴾ (١)

\* رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة  
مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن عباس. وصححه  
الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2961.

ثم أما بعد؛

فيا أيها العبد الحائر الحزين!... ذكّر الله هو

باب الفرج!

تلك هي البصرة الأولى التي أهديك بين

يَدَيَّ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها

الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخْرُجْ أولامن ظلمات ﴿الَّذِينَ كَانَتْ

أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا﴾ (الكهف: 101) وادْخُلْ بِصِرَةٍ ﴿إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37).

فَأَيِّقِظْ قَلْبَكَ! وَأَلْقِ سَمْعَكَ! <sup>(1)</sup> ثم شاهد معي!

فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولاً - لتلقي آيات القرآن كلاماً من

عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ

ينتصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً، يلقي

كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس

النبوة، وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء،

فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير؛ حتى تستطيع

الحضور، وتكون من المبصرين!

<sup>1</sup> - إنشاء السمع: الإصبات الكامل اشتمال؛ بما يضمه المشاهدة  
الغيبية، كما سيأتي بيانه بحول الله

فإذا كنتَ جاهزاً فلنبداً معا قصة السير إلى

الله!

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورها بين

دفتي الليل والنهار؛ تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرها لا طوعاً! عمرك

المحدود بأجله هو مدة الرحلة! رحلة ليس بيدك

توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها.. وليس بيدك

إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع

إيقاف الأرض عن الدوران؟.. الأرض غاربة حتماً

يا صاح! والعمر راحل لا يستشرك! فتأمل! ﴿يَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6). فإما لقاء المحبين؛ وإما

لقاء المخاربين!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك

أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي

الدركات! أي ما بين طريق العالم العلوي، وطريق

العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب.

وإنما السعيد من حوّل الاتجاه إلى مشرق النور،

حيث الخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من

وحشة مظلمة إلى أنس عظيم بالله! ذلك طريق

النور، فافتح عينيك؛ وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35).

فاحرص أولاً على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدخل

أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حبالها!

فأما الأسباب فهي: الدخول في التقرب، وتذوق المحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومحطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان من تقرب إلا أن يحب، وما كان للمحب إلا أن يكون محبوباً، وما كان للمحبيب إلا أن يكون ولياً وهنالكَ ينتصب حصن الله الحصين لوليه المحبوب؛ تسديداً وتأييداً، مَنْ قَصَدَهُ بِالْأَذَى - يَا وَيْلَهُ! - كان من المهلكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا

أحبه كُنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيده! (2) أما كيف تقرب؟ وكيف تذوق المحبة؟ لتكون منهم؛ فيبانه رهن بمتابعة خطوات الرحلة بهذه الرسالة، في قصة التعرف إلى الله، فلنتقدم!

أما الموانع فحبال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنة النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان. فالنفس أهواء توججها الشهوات، وللشيطان وسوسة لا تخنس إلا بذكر الله! وللزمان ظلمات بيوتها الإنسان؛ بما عبّد من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

ولفتن هذا الزمان خصوصاً رهيباً فهل بقي شك في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر المحن؟ على ما ورد في قول رسول الله ﷺ: تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً! ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا! (3)

وهل بقي شك في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسماؤها، كما هي في حديث رسول الله ﷺ، من مثل (فتنة القطر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ أشرف على أطعم من أطام

المدينة (4). ثم قال: «هل تؤمن ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر»! (5)

لقد أبصر النبي ﷺ بعين الغيب - مما عساه الله - صورة من الفتن النازلة بالناس: من بعده ﷺ. فشبهها بالمطر، إذ يعم بسقوطه كل شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شراح الحديث قد حققوا مناطه - اجتهدا - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأولّوه بما؛ إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقاً على زماننا هذا! فالتعبير هنا في

4 - الأطلم: بضمين، هو: كل حصن مبنٍ بحجارة على مائة مربعة. جمعة: أطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ أطام

بضواحي المدينة لمراستها.

5 - متفق عليه.

هذا الحديث النبوي دقيق جدا! وعجيب جدا! وهو أشبه ما يدل على الخيوط الأثرية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، كالفضائيات، والإنترنت، والهواتف الجوال، ونحو ذلك مما يثبت في الفضاء، ثم يتزل عبر الأقمار الاصطناعية على كل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر القلوات، فحما كزول المطر! على حد تعبير النبي ﷺ: إني لأرعى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطار! فمن إذن؟ ينجو من فتن كهذه؟ كيف وهي قتل على الناس كهطول المطر؟ إن لم يصبك قطره، أصابك وحله! وإن لم يصبك من عل، أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

أُولَئِكَ الْمُتَّقُونَ. ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَى صَلْبٍ<sup>(8)</sup>. ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهْمَاءِ<sup>(9)</sup>: لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتَهُ لَطْمَةً! فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ ثَمَادَاتُ! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا! حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ!

<sup>8</sup> - التوراة: هو مؤجرة الإنسان مما يكون عليه الخنوس من مقعده. والصلب: هو عظم الصدر. والمقصود أن الناس في العالم بعد حرب واقتال يصطلحون على أن يخضعوا لحاكم معين، يجلس على كرسي أعوج كالضلع؛ كناية على هشاشة الاتفاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلا، حتى ينقلب عليه بعضهم؛ فتطلق الفتن مرة أخرى!

<sup>9</sup> - الدهيماء: نصفير ذهباء، وهي الظلمة الشديدة. كناية عن خطورة تلك الفتنة وخطايتها.

ومن مثل فتنة (الأخلاس)، وفتنة (السراء)، وفتنة (الدُّهْمَاءِ)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ الذي رواه ابن عمر قال: (كُنَّا قَعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتْنِ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَخْلَاسِ<sup>(6)</sup>، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا فِتْنَةُ الْأَخْلَاسِ؟ قَالَ: هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ! لَمْ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ<sup>(7)</sup>: دَخَلْتُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي وَجَلَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي! وَإِنَّمَا

<sup>6</sup> - الأخلاس: جمع جنس، وهو لباس الذواب المكنية من الإبل والخيول ونحوها، مما يوضع تحت الرِّجَال. وهذا الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين!

<sup>7</sup> - السراء: هي ما يسرُّ الناس ويُفرِّجهم. والمقصود هنا أن تسرُّ الناس بظواهرها لا حقيقة، وإنما هي تستدرجهم بذلك إلى شر عظيم؛ والعياذ بالله!

فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَالْتَمِظُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! <sup>(10)</sup> فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة التي سماها رسول الله ﷺ بالدُّهْمَاءِ؛ كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلائها، هي فتنة تستمر زمنا طويلا، ما شاء الله! وهي فتنة عامة شاملة، لا تدع بادية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنسانا، من هذه الأمة الإسلامية؛ إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلمة! ولذلك قال: (لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتَهُ لَطْمَةً!) وأنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها - كما سبق وما سيأتي - تجد أنها تجمع على هذا

<sup>10</sup> - رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 4194



ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
التنوع من الفن العام الشامل الذي لا يمكن  
التحرز عنه! تماما كفتن الإعلام المحمل بالثقافات  
الغازية المدمرة، والملمع بريح العولمة اللاهبة! لا  
يكاد لمبها يفتر فيظن الناس أنها حمدة؛ حتى  
تنطلق من جديد، في غزو جديد! تماما كتعاقب  
مراحل الاستعمار؛ بشق أنواعه وصنوفه  
ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ  
الحديث لهذه الأمة!

ثم تنفتق عبقرية الشيطان اليوم عن أسوأ ما  
عرفته البشرية من الفتن! في اختراق الشعوب،  
وضربها في أخص خصائصها، وفي جوهر هويتها!  
فلا سهل دفع مثل هذا البلاء؛ لطبيعته (العولمية)  
الشاملة؛ ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتقنيا،

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى:  
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾  
(المطففين: 14)<sup>(11)</sup>. أما الذين يبصرون بنور الله؛  
فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون  
ما كتبه بخط أيديهم!

ومن مثل ذلك ما ورد أيضا في قوله ﷺ:  
« ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت  
المقدس، وأن يُعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها!  
وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم! وموت يأخذ

<sup>11</sup> - وقال النبي ﷺ في بيان ذلك (إن العبد إذا أخطأ خطيئة  
نكتت في قلبه نكته سوداء! فإن هو نزع واستغفر وتاب؛  
صقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه! وهو الران  
الذي ذكر الله تعالى: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ") رواه أحمد، الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن  
حبان، والحاكم، والبيهقي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع  
الصغير، رقم: 1670.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
وعسكريا! ولذلك قال الرسول ﷺ في وصف  
الدُّهُنِمْاء المذكورة: (فَإِذَا قِيلَ الْقُصَّةُ تَنَادَتْ:  
يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا!)  
وهذا يؤدي - في نهاية المطاف - إلى افتراق  
الناس في العالم الإسلامي، إلى (فُسْطَاطَيْنِ)  
واضحين، أي: إلى طائفتين. كما في نص الحديث:  
حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطُ إِيْمَانٍ  
لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ. فَمَآذَا  
يَنْتَظِرُ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قال رسول الله ﷺ  
مجيئا في نهاية الحديث: فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْظُرُوا  
الدُّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ذَلِكَ مَا لَا يَرَاهُ  
الَّذِينَ غَشِيَ الرَّأْنَ بِصَاتِرِهِمْ! والرَّأْنُ: هو (زفت)  
الذئب والآنثام، وجرائم التمرد على الله العلي

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
في الناس كَقَعَصِ الْغَنَمِ<sup>(12)</sup> وأن يغدر الروم  
فيسمرون بشمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر  
ألفا!<sup>(13)</sup>

فما هذه (العولمة) - التي تدمر البلاد والعباد  
اليوم! والتي هي ربح صهيونية في الصميم - إلا  
قطعة من فتن ذلك الليل، الموصوفة في الحديث  
السابق بأنها (كقطع الليل المظلم)  
إن الإنسان اليوم يفقد سكينته الإيمانية،  
ويدخل في جحيم الخيرة، حيرة الضلال! لقد  
بدأت ريح العولمة فعلا تحتل الإنسان قبل احتلال

<sup>12</sup> - قَعَصُ الْغَنَمِ: بضم القاف، مرض يعيب الغنم فيسكنها  
إياداً، بصورة مفاجئة!

<sup>13</sup> - رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني بصحيح الجامع  
الصغير، رقم: 3608.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
الأوطان! فتجرده من كل قيم الدين، ومن كل  
مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر  
تصنع الإنسان المتمرد على الله! هذا زمان إعلان  
الحرب على الله! فما ينتظر الإنسان غير غضب  
رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتن ليس لذاتها،  
وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض  
الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير  
ليتزودوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافة  
أن يدركه! والفقه في زماننا أن نسأل عن الخير  
الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في  
المنهجين معا. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:  
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير،

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى  
يدركك الموت، وأنت على ذلك! (14)

فهذه التذر من ظلمات الفتن! بما هي  
علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن الله  
ما أباد جيلا إلا جاء بخير منه! قال عز وجل:  
﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لَسَوْفَ أُنَبِّئُكُمْ بِهَا وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الثَّغْوَانِ لَسَوْفَ تُخْبَرُونَ﴾ (محمد: 38) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا  
فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ  
الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِدِينَ﴾  
(الأنبياء: 105-106).

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى  
الفرار إلى الله قبل فوات الأوان: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني! فقلت:  
يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله  
بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.  
قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم  
وفيه دخن! قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون  
بغير هديي، تعرف منهم وتنكر! قلت: فهل بعد  
ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب  
جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا  
رسول الله! صفهم لنا! فقال: هم من جلدتنا،  
ويتكلمون بالسنتنا! قلت: فما تأمرني إن أدركني  
ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم! قلت:  
فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (الدَّارِيَات: 50). وإنما  
الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن  
الكريم، على سبيل السلوك إليه تعالى - كما نبين  
بحول الله - لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا  
الزمان! والوصول إلى بر الأمان من رضى الرحمن.  
فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية  
خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور  
بعثة التجديدا فإما أن تتركب مع موكب الربانيين  
فتكون من الناجين؛ وإما أن تبقى مع المتخلفين:  
فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون  
بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا  
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ (آل  
عمران: 79).

وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: أبشروا.. أبشروا.. أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن الله رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سبب - أي: حبل - طرّفه بيد الله، وطرّفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا! (15).

يا أيها الخيران!.. إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيدا! خلقك ولم تكن شيئا مذكورا! ومقتضى ذلك ترتب على ذمتك حق عظيم! هو

15- رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في المستدرج من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 713. نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد. طبعة جديدة بتاريخ: 1415هـ/1995

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
حق الخالق! فماذا أدبت الله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان! - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فباعتبار أنه تعالى جعلك (مسلمًا). وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تخلي الناس فيه عن القرآن؛ يا ويلهم!

هذا هو (ذكر) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء البكماء! فتذكروا! ثم تذكروا! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات!

من أجل ذلك؛ كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراسا عمليا، ودليلا تطيقا. يتم

أما تأصيل النظر فقد فصلناه في كتابنا (البيان الدعوي) (16)، وأما تأصيل العمل فقد بيناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصدا؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصريف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرض من تقديمها؛ أن نعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عهد لوثقت مع الله عز وجل، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزا على دوام المجاهدة والمصابرة والمراعاة، في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا، وفيمن حولنا من العالمين، يبقى على ذلك بحول

16- أرجو أن يطبع قريبا

بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح، وعزم القصد على الانطلاق سيرا إلى الله جل جلاله، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التزويل، فإنها لا تغني في بيان منهج التأصيل. إذ ليست موضوعة لذلك أصلا. وإنما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعاً، لا أصالة؛ إذ هي أشبه ما تكون بالذاكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتنفيذ لخطوات الصلاح والإصلاح.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الله حتى يأتينا اليقين! فنلقى الله - إن شاء الله -  
مقبولين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين.  
ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة -عدا تأصيل  
العهد وميثاقه، والثاني: في عهد الذِّكْرِ، والثالث:  
في عهد القرآن والقيام. ثم الرابع: في المختار من  
الأذكار.

والله الموفق للخير والهادي إليه.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن  
الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه  
ولسائر المسلمين. الأحد: 21 ربيع الثاني 1424  
هـ / 2003/06/22م.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الإحكام في الأمر، (...) وقد أوثَّقه ووَثَّقَه وإنه  
لَمَوْثُقُ الخلق. والمَوْثُقُ والميثاق: العهد. (...)  
والمُوثَاقَةُ: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: "وميثاقه  
الذي واثَّقكم به" (المائدة: 7) (...) والميثاق:  
العهد، مفعول من الوَثَّقَ، وهو في الأصل: حبل  
أو قيد يُشدُّ به الأسير والدابة<sup>(17)</sup>.

فالْمِيثَاقُ إذن: عَهْدٌ مُحْكَمٌ يشدك إلى  
الدين قولاً وعملاً، ويلزمك بما التزمت به،  
و تعبیرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما نقصد  
به: توثيق ما نبرمه مع الله عز وجل من  
التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب  
البلاغ، وإحكامه على قواعد نلخصها  
فيما يلي:

<sup>17</sup> - لسان العرب: (مادة وثق).

## الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه

الميثاق في اللغة: العهد المُحْكَم. وميثاق  
العهد: إبرامه وإحكامه. قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ  
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: 26).  
وفي اللسان: (الوثاقة: الشيء الوثيق المُحْكَم.  
والفعل اللازم. يُوَثِّقُ وَثَاقَةً. والوثاق: اسم  
الإيثاق، تقول: أوثقتُ إيثاقاً وَثَاقاً. والحبل أو  
الشيء الذي يُوثَّقُ به وَثَاقٌ، والجمع الوَثَقُ. بمزلة  
الرِّبَاطِ والرَّيْطِ. وأوثقته في الوثاق أي شده (...).  
وَوَثَّقْتُ الشيء تَوَثُّقاً، فهو مَوْثُقٌ. والوثيقة:

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
اعلم - هداي الله وإياك - أن التوبة إلى الله  
عزيمة وإرادة، وأن النقلة من الصلاح إلى  
الإصلاح مرابطة ومجاهدة. فتمني الصلاح غير  
كاف للتحول إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن  
يترتب عليه أي إصلاح ولكن لابد لك من عزيمة  
تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه  
مع الله، تُشهد عليه الله عز وجل، وتشهد عليه  
نفسك وصالح المؤمنين، الذين يُذَكِّرُونَكَ إذا  
نسيت، ويساعدونك إذا فترت. وهذا المعنى  
متأصل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيراً من جلائل  
الأعمال في الإسلام كانت تبني على عهد، وتوثق  
بميثاق، يكون ربطة في عنق المسلم، فإما وفاء بعد



ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
 وإما نقضاً! فالدين نفسه في كليته عهد، يوثقه  
 المسلم بإقراره أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول  
 الله ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ  
 العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا  
 نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في  
 ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث  
 المتفق عليه: عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال:  
 (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء  
 الزكاة، والنصح لكل مسلم)<sup>(18)</sup>. وفي رواية  
 لأحمد والطبراني بسند صحيح، أنه قال: (فاشترط  
 علي: "والنصح لكل مسلم!" فورب الكعبة إني

18 - متفق عليه

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
 لكم ناصح أجمعين!<sup>(19)</sup>. وقيل لسلمة بن الأكوع  
 ﷺ: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم  
 الحديبية؟ قال على الموت!<sup>(20)</sup> ولد صيغة  
 أخرى أبين، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن  
 سلمة ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل  
 الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا  
 تسابع؟ قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال:  
 وأيضاً! فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا  
 أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟  
 قال: على الموت!<sup>(21)</sup>

19 - رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

20 - متفق عليه

21 - متفق عليه

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
 والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم  
 الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد،  
 في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال  
 بعضهم على الموت). وقد جاء مفسراً في حديث  
 معقل بن يسار ﷺ، قال: لقد رأيتني يوم الشجرة  
 والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من  
 أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة. قال لم  
 نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا  
 نفر<sup>(22)</sup>. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي  
 الله عنهما قال: بل بايعهم على الصبر<sup>(23)</sup>.  
 وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن

22 - رواه مسلم.

23 - رواه البخاري.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله  
 الأكوع من أنه بايع النبي ﷺ على الموت، ولا  
 تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.  
 ولذلك وجد من بايع النبي ﷺ أكثر من مرة  
 - كما هو ظاهر الأحاديث المذكورة وغيرها -  
 تكون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون ما  
 بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود  
 بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع الله  
 على عمل معين سواء كان مؤقتاً كما في يوم  
 الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائماً كما في  
 النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول الله ﷺ من الأنصار (بيعة  
 العقبة الأولى) و(بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم  
 ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية، التي

نزل فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

(الفتح: 18). وكان رسول الله ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عموما، ومن كل من وفد عليه مسلما، رجالا ونساء.

و(بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها الله نص امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة المتحنة، وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

ومن هنا كان الدين ميثاقا وعهدا، فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. لَيَسْأَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 7-8). كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7). وقال سبحانه وتعالى مذكرا الناس أجمعين: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِبَيْتِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانًا يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المتحنة: 12).

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلا: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة) (24).

24 - رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، 41/13. ونسمة الحديث: (فمن تركها فقد كفر) وقد علم أن ليس المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما هو الكفر العملي، الذي هو ضرب من العصيان المشابه لأعمال الكفار.

(يس: 60-61). وخاطب هذه الأمة في خصوصها فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34).

وذم من نقض العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25). فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 13). العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد، باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عموما، ومدرج من

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب  
الصلاح والإصلاح خصوصاً. وعدم اكتراث  
المسلم به يقوده إلى الشرود بعيداً عن باب الله،  
بئس أن يكون من المصلحين! فالعهد هو أول  
مدارج السالكين، ومبتداً منازل السائرين إلى رب  
العالمين.

ولقد جمعت لك أيها الخب معلم ذلك كله  
في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية، نحو إِبصار  
لآيات الطريق). فسطنا لك فيه منهجاً تربوياً،  
متدرجاً، مؤصلاً بأدلته وقواعده؛ في كتاب الله  
وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك  
عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من  
منهجية تربوية، ومن رحي ليزان الأولويات

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
الشرعية، على ما يقتضيه تحقيق مناط الدين في  
الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب  
البدايات، ويتذكر بها أصحاب النهايات. ومن ذا  
يستغني عن ذكر الله، والسير إلى تحصيل رضاه؟  
فلا بد لك أيها الخب لطريق النور: إن  
تجردت فعلاً لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من  
أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقلك، وترسخ  
وفاءك لعهدك. تماماً كما كان الأنبياء والصديقون،  
والرهبانيون المجددون. وإنما أولئك هم العاملون  
الذين تنفع بهم الأمة. وأما القائلون وكفى، فهم  
في الناس كعد الحصى، ولكنهم غثاء كغثاء  
السيل!

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
وكما بُعثَ رسولُ الله ﷺ بالقرآن آيةً آيةً؛  
بصائر للناس، وهدى للعالمين؛ وجب عليك إذا  
تحققت عزمُك أن تطلق بالقرآن، ومن القرآن،  
في بعثة التجديد آيةً آيةً! تبصر وتبصر، وتعرف  
وتعرف، وترجم أخلاق النبوة حركةً فطريةً في  
المجتمع. حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن  
العظيم دستورها والرسول ﷺ رمزها وقائدها،  
والدعوة إلى خير جهادها. بعيداً عن ضيق  
المنظمات، وأسر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين  
بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الورد  
التربوي لرسالة القرآن، فهل أخذت عليه عهدك  
وعقدت عليه ميثاقلك؟ أم أنك تعرفه فقط كما

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
يعرف أهل الكتاب كتابهم، إذ طال عليهم الأمد؟  
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ  
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16). ذلك  
المنطلق، إن أردت فعلاً أن تسلك سبيل الصالحين  
المصلحين، وإنما الموفق من وفقه الله.

### تبصرة: كيف نوثق العهد؟

سل نفسك أولاً:

هل حقاً تريد البدء أم أنك تنمى فقط؟ هل  
عزمت عزمك لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق  
في مدارج الجاهدة؛ سيرا إلى الله مع الصالحين  
المصلحين؟ أم أنك ما تزال متردداً باحراج

ميتاف العهد في مسالك التعرف الى الله  
 الشيطان، سماعاً لوساوسه؟ لا يكون لك بدء يا  
 صاحبي، ولا لبدئك أثر؛ حتى تجيب نفسك عن  
 نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا  
 تريد!

فَاحْسِبْ نَيْتَكَ فِي نَفْسِكَ مَعَ اللَّهِ أَوَّلًا! وَآلَا  
فَلَنْ تَبْرَحَ مَكَانَكَ! وَلَنْ تَسْتَطِيعَ مَغَادِرَةَ طِينِكَ.  
وَبَقِيَ هُنَاكَ، وَقَدْ انْطَلَقَتْ قَوَائِلُ الرُّكْعِ السُّجْدِ  
بَعِيدًا، تَضْرِبُ لِحْوَ بابِ الرِّضَى الرَّبَّانِيِّ الْعَظِيمِ!  
وَخَلَقْتِكَ وَرَاءَهَا وَحِيدًا، ضَالًّا بِمَتَاهَاتِ الدِّخَانِ،  
تَدُورُ فِي ذَرَاكِ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ! وَقَدْ سَبَقَ  
الْمُفْرَدُونَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ!! (25)

25 - رواہ مسلم

ميثاق العهد ===== في مسالك النور الى الله  
 تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد  
 انطلقت، يقودها - الى الله - محمد رسول الله ﷺ  
 سائرا بكل مَنْ (هذه)، وإنما معه الذين حققوا  
 (المعية النبوية) وهم أصحابه الميامين  
 تَبْفُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُحَجَّلِينَ! اقرأ هذه الآية  
 البصرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى:  
 (مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى  
 الْكُفَرِ أَرْحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ  
 فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ  
 أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي  
 الْإِنْجِيلِ كَزَوْجٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ  
 فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ. يُغِيبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِظَ بِهِمُ

447

46

مِثْلَ الْعَهْدِ ۖ وَفِي مِثْلِهِ الْعُرْفُ إِلَى اللَّهِ  
الْكَافَرِ. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (النص: ٢١).

تَذَكَّرِ الْآيَةَ كُلَّهَا أَوَّلًا! ثُمَّ خُصَّ بِتَذَكُّرِ  
عِبَارَةٍ: (وَالَّذِينَ صَفَّوْا) .. إِنْهُمْ أَهْلُ (الْعِزَّةِ النَّبَوِيَّةِ)  
أَهْلُ (السَّمِيِّ)! وَالسَّمِيُّ، أَوْ السِّمَاءُ: الْعَلَامَةُ  
الْمُتَّحِدَةُ عَلَى مَعْنَى. فَهْمُ إِذَنْ: الرِّبَانِيُّونَ، أَصْحَابُ  
عَلَامَةِ الرِّضَى مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ!

ولست (المعية) ههنا هي المعاصرة الدنيوية. فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين. وكان المنافقون معه؛ لكن ليس بمعنى المعية النبوية الاتباعية! وإنما (مَعَّة) الربانيون! ولذلك دخل في معنى الآية إخوانه أيضا. وإخوانه: هم كل من آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين!

= 48

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى  
وذلك قوله **عليه السلام**: **وددت أني لقيت إخواني!**  
**قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم**  
**أصحابي وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني!** (١٦)

وفي رواية أخرى مفصلة قال عليه السلام: ووددت  
أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنّا إخوانك؟ قال  
بل أنتم أصحابي وإخواننا: الذين لم يأتوا بعد.  
قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمك؟  
قال: أرايت لو أن رجلاً له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَلَّةٌ، يرب  
ظَهْرِي خَيْلٍ ذُهِمَ بُهْمٍ <sup>(27)</sup>، ألا يعرف خيله؟ قالوا:  
بلى! قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَلَلِينَ

26  
2100  
امید و تمنا برای یک جمع جامع

عمر: جمه أقر، والعرة: باض على جهة الحاصل  
الأمهر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان المذكورة  
البياض، وانحجر: باض يكون على قدميه.  
لهم، وهو في الخيل: الحاصل ذو اللون الواحد.  
سواد أو غوها، غير مشوب بشيء غير لونه ذلك  
جمه أدهم، وهو ذو اللون الأسود الشديد السود.

110

## الفصل الثاني: في عهد الذكر

نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب الله تعالى، هما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات الحيرة والتهيه. فاقرا وتدبرا ولا تعجل حتى تستكمل شعاع النور!

فأما أولاهما فهي قول رب العزة جل وعلا: ﴿إِذْ آمَنَّا الْمُؤْمِنُونَ اللَّيْنِ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2). هذه بصيرة من بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف إلى الله. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو - بعبارة

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله من الرضوء، وأنا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ! أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجَالًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ! أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ! أَلَا هَلُمَّ! فَيَقَالُ: إِنَّمَا قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ! فَأَقُولُ: سَخَقًا! فَسَخَقًا! فَسَخَقًا! (28).

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذلك نقضه! هو عهد إذن! نقطعه على أنفسنا الله وحده، مخلصين له الدين إن شاء الله، سائرين إليه تعالى على طريق الإيمان رَغْبًا وَرَهْبًا. معتمدين بكتابه وبسنة نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم، وقيامًا بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقا وتحقيقا! فهو أعمال وأقوال. وبيان ذلك هو كما يلي.

## تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المفردين السابقين!

الذكر هو مفتاح البصرة! هل تريد أن تكون من المبصرين؟ هل تشاق إلى مشاهدة الأنوار الربانية؟ وهي تتدفق من بصائر القرآن، لتشمل الكون كله! نعم؛ إذن أذكر الله كثيرا! ولا حَظَّ في السبق إلى ذلك لمن غفل عنه! اقرأ هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن تكتشف سرَّ السير إلى الله.. قال رسول الله ﷺ: سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ! قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات (29).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله أخرى أكثر تفصيلا - اسأل: ماذا تعرف عن الله؟ وما منزلة قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن القلب ينعم بجمال (الوجل)، كلما استنار بجلال التعرف إلى الله؛ وإما: ﴿قَوْلًا لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: 22). وأما الثانية فهي قوله تعالى: ﴿لَوْ مِّنْ يَّعْشُرُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَّهُ شَيْطَانًا مِّثْلَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وذلك طريق من لم يعرف نور الذكر إلى قلبه مسلكا! فإني يكون من المبصرين؟ ولك الآن أن تسأل: كيف الخروج إلى مسلك النور؟ كيف التخلص من غفلة العُشُوْء عن ذكر الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوجل من ذكر الله؟



مِنَاقِ الْعَهْدِ ===== فِي مَسَالِكِ التَّعَرُّفِ إِلَى اللَّهِ  
وَكَيْفَ لَمْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مَلَنَّهُ الْأَعْلَى إِلَّا يَكُونُ مِنْ  
السَّابِقِينَ؟ وَإِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ وَاحِدٌ، وَعَهْدٌ وَاحِدٌ!  
ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ:  
﴿لَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾  
(البقرة: 152). وَكَانَتْ مِهْمَةُ مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ  
مِنْ أَثْقَلِ الْعَزَائِمِ فِي تَارِيخِ الرِّسَالَاتِ قَبْلَ نُبِينَا  
مُحَمَّدٍ ﷺ! إِنَّمَا دَعْوَةُ فِرْعَوْنَ! ذَلِكَ الطَّاغِيَّةُ الَّذِي  
قَالَ فِي النَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى! وَإِنَّمَا كَانَ زَادَ  
مُوسَى وَأَخِيهِ فِي طَرِيقِهِمَا إِلَيْهِ: ذِكْرُ اللَّهِ! وَمَعَ  
ذِكْرِ اللَّهِ يَتَضَاعَدُ الْجِبِلُّ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ حَصَاةٍ!  
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا هَبَّتْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَأُ  
نَبِّئَا فِي ذِكْرِي. أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا  
لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَ رَبَّنَا إِنَّا

مفتاح العهد في مسالك التعرف إلى الله  
 في ملائمة خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه  
 ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن  
 أتاني يمشي أتيته هرولة<sup>(30)</sup>. فليس عبثاً إذن؛ أن  
 يكون الذكر أفضل - في بعض مراتبه - من إيفاق  
 الذهب والفضة، بل من الجهاد في سبيل الله!  
 وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي  
 الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «أَلَا  
 أَنْبَأُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَأهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ،  
 وَأَرْقَعُهَا فِي ذُرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِفْئَاقِ  
 الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ  
 فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى،  
 قَالَ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى!» فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما

هَيْتَاكَ الْمَهْدُ: في مسالك الحرف إلى أ-  
 نُخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا  
 إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَرَأَى (طه: 42-46).

إن المَعِيَّةَ الربانية كانت حاصلة مع  
 الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه: «أَوَّلًا ثَمَّ  
 فِي ذِكْرِي»! وَالْمَعِيَّةُ كفاية الله العبد في الدنيا  
 والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من  
 الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل عز وجل في  
 حق الملائكة العندين: «لَا يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ (الليل) وَ  
 يَفْتَرُونَ» (الأنبياء: 20). لَا يَفْتَرُونَ!

وهي معية تحبيب وتقريب، قال النبي ﷺ في  
 الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أنا عند طرف  
 عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في  
 نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرت

مِثْقَالُ الْعَهْدِ ————— فِي مَسَالِكِ التَّعَرُّفِ إِلَى اللَّهِ  
شَيْءٌ أَلْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٤١﴾  
وهذه مرتبة خاصة من الذكر سيأتي بيانها بحول  
الله.

تلك هي القصة إذن! وتلك هي الطريق،  
فأين الذاكرون؟ أين حصتك من الذكر صباحاً؟  
وأين هي حصتك مساءً؟ ألم يقل الله تعالى للمؤمنين:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.  
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42)  
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَاجْتِهَادِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آل عمران: 190-191). وما زال رسول الله ﷺ يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى أن يكون المؤمن من المتشبهين! فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَنْشَبْتُ بِهِ! قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (32). هكذا (رطباً)، كأنما هو بقلّة، أو زهرة، أو ثمرة، تستمد

32 - رواه أحمد والترمذي، وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بسر. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: 7700.

الماء من نبع دائم يفيض بالحياة والذكر حياة الروح. وكأنما اللسان جدره الممتد إلى الغدير. أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن نزيد: (سَبَقَ الْمُرْدُونَ!).. وإنما الحكم بين المتنافسين هو الطريق!

### تبصرة: كيف نذكر الله؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا الأمر أولاً، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟

ذكر الله عبارة عن غذاء تعبدي تنتفع به النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه قطعاً لا يكون شيء! لا سر ولا وصول! وإنما أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءاً بالإقرار بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج، وما تفرع عنها جميعاً من صالح الأعمال، سواء في ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وقوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: 124-126). فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكراً؛ لأنه إقرار بما عهد الله إلى بني آدم في عالم الذر من التوحيد، وبما طبع عليه فطرتهم من الإيمان، السابق إلى النفس ابتداء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدْنَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172). وقال سبحانه: ﴿وَالَمْ أَعِذْ بِالنَّفْسِ الْكَافِرَةِ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
عَبُدُوا مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (يس: 60-61).

وهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (تذكراً) ولم تكن مهمة الرسل إلا (تذكيراً)، تذكيراً بالعهد الأول، الذي أخذه الله على بني آدم في الوجود النفسي من عالم الغيب. وهذا المعنى أيضاً لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (مذكراً)؛ ولذلك قال تعالى محمد ﷺ بأسلوب اختصر هذا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: 21).

والناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتلائية؛ يشرعون في العودة إلى خالقهم عبر مدارج الدين. فالؤمن الحق هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يفرغ الرخاء، ولا تنزل له المصيبة.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، التي تقال عند وقوع البلاء. قال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخُسُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَسْرَارِ وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِصَلَوَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ (البقرة: 155-157).

لكن قد يطلق لفظ (التذكر) في الشرع بمعنى أخص، فيقصد به: ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يرددها العبد في أורاده اليومية، ويتحرك بها لسانه، تسبيح

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
وتحميدا، وتخليلا، وتكبيرا، ونحو ذلك. وهو المراد - مما سبق إيراده - من قول رسول الله ﷺ، فيما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ! قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ!

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكلي الذي يراد به تذكّر الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته. فوظيفة الذكر بهذا المعنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وترسيخها عليه، وترقيتها بمداخره ومراتبه؛ حتى

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
تكون من أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية (33).

١١ - لا يجوز للمسلم الذي صحت عقيدته أن يمارى في القول بالمشاهدات، بما يخالف أصول العقيدة؛ كالذي يعتقدون أن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقراً في النوح المحفوظ؛ فهذا من الموروثات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشبهات. وقد أجمع العارفون المحققون على ألا حقيقة إلا صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطا بضوابط العقيدة الصحيحة؛ وإنما الموفق من وفقه الله.

وأما اللوح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدر. فلا أحد من الأنبياء زعم علينا أنه يقرأ فيه. إلا ما جاء وحياً معادياً! وقواطع القرآن فاطمة لكل جدل عقيم! قال سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَتْلُو نَكُمْ عِيدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَتْلُو نَكُمْ نَقِيبَ وَلَا أَتْلُو نَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا أَنَا نَاطِقٌ بِأَمْرِ﴾ (الأنعام: 50)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغُفْرِ﴾ (آل عمران: 179) وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا تَأْتُمُونِي فِي

وقوله ﷺ في الحديث المذكور: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ دَالَ عَلَى الاستمرار، فعبرة (لا يزال) تدل - في العربية - على بقاء ما

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلََّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ يُمْسِكُهُمْ (لعل: 65) وغاية ما كنت عن النبي ﷺ من ذلك أنه سمع صوت أقدام الملائكة الذين يستنسخون من السوح المحفوظ! نعم سمع ولم ير! هذا ما صح به الحديث. فقد أخرج البخاري أنه ﷺ قال: (عُرِجَ بي حتى طهرت بمسئتي سمع فيه صريف الأقدام). فمعنا أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة! هي أكثر غلوا من دعوى النبوة؟ فافهموا وتدبروا ثم تبينوا!

وأما كشوفات المؤمن ومشاهداته فإنما غايتها تبصير حقائق لكون القرآن في النفس وفي المجتمع وكفى بها حقيقة عظيمة! تملأ القلب وتعمر الوحدة؛ ولكن (لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس، وتبصير مشاهدتها في الكون؛ تفكروا وتدبروا. وذلك معنى حديث النبي ﷺ عن (الإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك! (35) أما ترديد الآيات، وترجييع العبارات بلسان غير موصول بالقلب، فعمل عديم الفائدة. وما الذكر إن لم يكن تذكرا لغائب المعاني، وشارد المقاصد؟ تذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير للتفكير؛ وإلا فلا ذكر!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛ لأن النفس في سيرها إلى مولاه - بعد إيمانها وصلاحتها - قد تفل وتفتت، أو تصيبها الوحشة، أو قد تغفل؛ فتشرد وتضل وتضطرب؛ فتحْتَاج إلى تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة العجيبة: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: 28). وقول النبي ﷺ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ! (34).

فالدُّكْرُ إذن: حضور واستحضار. فالحضور: حضور القلب بين يدي الله تعالى عابداً مستبلاً.

34 - منسوخ عليه، واللفظ للبخاري.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله ولك أن تشاهد أحوال من سماهم الله تعالى بأولي الألباب: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: 191) ذلك قلب العهد المحب له واردان الثنا: لسان يتذكر وذهن يتفكر؛ وبهما معاً تفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون! فكل كلمة من الذِّكْرِ تنساب على اللسان هي سفينة فضائية، تحملك غُرُوجاً إلى الرحمن، عبر ملايين الأفلاك والمجرات، فتخترق بك الطبقات تلسو الطبقات، من المدارات والفضاءات! فأعظم بها سياحة الذاكرين! في رياض الملك والملوك!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
هنا إذن؛ تحضر أهمية مجالس القرآن، حيث  
تنفع المذاكرة والمداينة في تلقي منهج التفكير  
والتدبر؛ فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين،  
وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تتذكروا إن  
كلمة واحدة من التسييح، أو التهليل، أو التكبير؛  
لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى: تبعد عن  
كوكب الأرض بملايين السنين الضوئية! وتدبر  
هذا الحديث النبوي العجيب: عليك بذكر الله  
تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء،  
وذكورك في الأرض<sup>(36)</sup> فاركب سفينة الذكر يا  
صاح ثم انطلق!

<sup>36</sup> - روه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وحسنه  
الألباني. انظر حديث رقم: 2543 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
ثم يحسن بك أيضا أن تقرأ ما أوردناه  
بالهوامش - أسفله - من تأصيل عن النبي ﷺ، في  
فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار النبوية  
المختارة؛ فهو من خير ما يساعد المؤمن على  
استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.  
ولك في هذه الإشارات - إن شئت -  
بدايات. وذلك من أجل تبين مسلك تطيقي  
للذكر. ولنجعله على قسمين: الأول ذكر قرآني،  
وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقرآن باعتباره  
(ذكرًا). والثاني: ذكر نبوي، وهو بيان منهج  
التعامل مع الصيغ السننية في ذكر الله تعالى.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
**تبصرة: في مسلك الذكر القرآني:**

القرآن العظيم رأس الذكر، ومفتاح الذكر،  
وتاج الذكر. بل القرآن هو الذكر! قال سبحانه:  
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَكَمَ لَدُنْ يَدَيْهِ يُرْجَبُونَ وَابْتِغَاءَ مَقْصُودٍ  
مَّا يَشَاءُونَ وَيَخْلُقُونَ إِنَّهُمْ لَمُبْجُونَ وَمَا هُمْ بِآثَارِ  
ذِكْرِ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ (القلم: 51-52).  
والقرآن أيضا به يكون الذكر! قال سبحانه:  
﴿إِصْرَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: 1). والفتنة  
حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها  
البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿إِنْ  
لَدُنْكُمْ نَفْسٌ مِّنْ السَّيْطَانِ فَاصْطَبْهُوا فَاصْطَبْهُوا فَاصْطَبْهُوا  
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 201).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الإشكال الآن هو: كيف نحصل الذكر  
بالقرآن؟

هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل  
قارئ للقرآن هو بذاكر!



## تبصرة: في أخذ القرآن بمنهم

(التلقي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من (يتلقى) القرآن!

وإنما يؤتي القرآن ثمار الذكر حقيقة لمن تلقاه! وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6).

ولا يزال القرآن معروضا لمن يتلقاه؛ وليس لمن يتلوه فقط! وما أدق وأجمل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

## تجلى النور فوق الطور باقي

فهل بقي الكليم بطور سيناً؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عموماً. كما في قول الله تعالى: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103) <sup>37</sup>.

وأما تلقي القرآن: فهو استقبال القلب للوحي. إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ. على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6). إذ تلقى الله عليه القرآن بهذا المعنى! عند فسره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا

<sup>37</sup> - انظر ذلك مفصلاً في مفردات الراغب، مادة: (لقى).

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوة واستماعاً على أنه (تريل)، وليس فقط على أنه (إنزال). فقد فرق علماء القرآن بين (التريل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن الإنزال: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى، إلى السماء الدنيا. وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1). وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَارُكَّةٍ﴾ (الدخان: 3).

وأما التريل: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ: تعالج قضايا النفس والمجتمع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (مُتَجَمّاً): أي مفرداً على

سَتَلْقَى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَمِيلًا﴾ (المزمل: 5) قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي) <sup>38</sup>.

وإنما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سنبينه بعد بحول الله. فذلك المنهج هو الذي به تبعث حياة القلوب. لأنها تتلقى آنذا القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَوَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ. وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا. وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52-53).

<sup>38</sup> - المفردات، مادة: (لقى).

آيات، تنزل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان، وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة نزول الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي. وذلك هو المذكور مثلاً في قول الله تعالى: (لأحم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) (فصلت: 1-3). فالتنزيل: تفريق القرآن آيات: آيات - لما ذكرنا - عند نزوله على قضايا الناس. وقد ذكر الله سبحانه المعنيين معاً بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِنُنَزِّلَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُزْلَانَا تَنْزِيلًا (الإسراء: 105-106).

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين "الإنزال" و"التنزيل" في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى. والإنزال: عام. (...). وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1)، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التنزيل)؛ لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجماً فنجماً) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ"، قال: أنزل القرآن في

ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجوماً، بجواب كلام الناس (39).

(وتلقى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر؛ إنما يكون بأخذه - فضلاً عن كونه إنزالاً - على أنه تنزيل. حيث يتعامل معه العبد، ويتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فبعث قلبه حياً في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقَى) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37). ذلك هو الذاكر

حقاً، الذي يحصل الذكرى ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فبصير حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما مثلت عن خلقه ﷺ؛ فقالت: كان خلقه القرآن! (40).

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضاً أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على موطن الداء! فأدام الله لما

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت  
عليهما أماراة الغواية؛ يسقوط لباس الجنة عن  
جسديهما! فظل آدم ~~الضعيف~~ كئيها حزينا. قال  
تعالى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا  
يَخُصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ  
فَغَوَى) (طه: 121). ولم يزل كذلك حتى (تلقى)  
كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له  
بذلك شفاء! وذلك قوله تعالى: (فَقَلَّقَى آدَمُ مِنْ  
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)  
(البقرة: 37). فهو ~~الضعيف~~ كان في حاجة شديدة إلى  
شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا  
يدري كيف؟ فأنزل الله عليه - برحمته تعالى -  
كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى  
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23) فبمجرد  
ما أن نزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛  
حيث نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له  
التوبة خلقاً إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه  
السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات  
التوبة على سبيل (التلقي): (فَقَلَّقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ  
كَلِمَاتٍ)!

فعندما تقرا القرآن إذن؛ استمع وأنصت؛  
فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل  
بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا  
أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
**تبصرة: في مسلك الذكر النبوي:**  
وأما الذكر النبوي؛ فلأنه لا يكاد ينحصر  
لكثرته؛ فإننا ننتخب منه نموذجاً واحداً للمثيل  
التطبيقي، ولنجعل (التسبيح) له مثالا:  
- (سبحان الله!؛ كلمة إجلال وتعظيم؛  
تزيها لله رب العالمين. إنها كلمة تنبع من قلب  
عرف الله؛ فانبهر بعظمة سلطانه وجلال رويته.  
وأدركته الهيبة والخشية؛ لما رأى من آيات الملك  
وعظمة الملكوت! أبصر ذلك مثلاً فيما أنكره  
الملك العظيم على الكفار! قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا  
بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا تَعَاهَدْتُمْ وَارْزُقُوا آلَافَ  
قَدْرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: 67).

أن تسبح الله معناه أنك تعبد به بالتزويه.  
والتزويه أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجودك أنه  
سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن  
يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق  
المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن  
تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات  
الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى  
نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو،  
كما وصف نفسه بمراده، ومقاصده، جل وعلا.  
أن تسبح الله يعني أنك تزهد عن خلقه، تشعر  
بوجودك أنه تعالى مقارن لهم، متعال عنهم.  
واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات  
العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

تأمل جيداً معنى الخلق! ركز ذهنك عند المشاهدة  
البصرية، وعند المطالعة القلبية! وأبصر: كيف  
كان هذا الكون العظيم؟ الممتد من عالم الشهادة  
إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم  
آدم. إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة!  
يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي،  
ويحزن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف  
تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى  
وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون  
الكبير! اقرأ!.. «اقرأ باسم ربك الذي خلق!»  
(العلق: 1)

وهذا يقتضي منك رحلة كونية عظمى، لا  
تنتهي إلا بانتهاء قدرتك على تتبع الروحي

للفضاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات  
الكون، وطبقات الأجرام والسموات.. وتبصر  
بعين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى..  
وتذكر الله: إنه خالق كل هذا! إنه خالق كل  
شيء. إنه فوقهم جميعاً، متعال عنهم جميعاً. إنه  
ليس له مثل: سبحان الله! أي خلق كل هذا  
وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك بحيرة العقول؛  
فقل: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله... حتى  
ينتهي النفس، ثم جدد: سبحان الله!

هذه غلة تسترزق قوتها، وتلك نخلة تسلك  
سبل ربها، وتلك بعوضة تشعر بالحياة، عجباً!  
سبحان الله! وأمم أخرى أدق وأصغر، لا تدرك  
بالنظر العادي، غلّاً أحشاءنا وتسبح في دمائنا،

وتسرح في الفضاءات، وارقب أعم الأرض من  
سائر الكائنات وسائر الأنواع، وأبصر أعم  
السماء، وأبصر حشود الملائكة غلّاً طبقات  
السموات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال  
النبي ﷺ: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا  
تسمعون: أظن السماء وحق لها أن تظن! ما فيها  
موضع أربع أصابع؛ إلا ومَلَكٌ واضع جبهة الله  
تعالى ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم  
قليلاً، ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على  
الفرش! وأخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله (41).

41- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم ع. أن د.  
مرفوعاً. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 2449 في صحيح  
الخامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
والملائكة على تلك الحال من العبادة أبداً إلى ما  
شاء الله. قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا  
يَسْتَخْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾  
(الأنبياء: 19-20)

وتسبح الأمم في الأرض لله طوعاً وكرهاً.  
وكل الخليقة أمة. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي  
الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ مَا  
فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾  
(الأنعام: 38). وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق  
الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يرزق،  
هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي،  
هو وحده يميت، هو (الحَي القيوم)، يقوم بأمر

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
الكون كل الكون؛ خلقاً وإحياء، وإماتة.  
وتقديراً. لا يتحرك شيء في الكون - مهما ذق أو  
صغر - إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ  
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
وَمَا يَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي  
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59) ويدير كل شيء لا يشغله  
شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن  
خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل  
واحد مسأله! وهو تعالى فوق الزمان والمكان، لا  
يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء  
محيط، جل وعلا، سبحانه هو خالق الزمان  
والمكان!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
ثم انطلق! انطلق إلى مولاها! ومُرَّ على  
العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل:  
سبحان الله! تعالى الله عن كل شيء علواً كبيراً.  
أخسى يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة  
التسبيح قد سبح الله!.. فسبح الله! سبح الله!  
سبح الله!

تلك لمة من لمعات التسبيح، وومضة من  
ومضاته، ومضة أقل من أثر برق! ضرب هنا ثم  
انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتزويه رب  
الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة  
كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله  
إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لعظمة رب  
الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها، ولكل جملة  
مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجمالها؛ فاذكر الله!  
واقراً إن شئت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا  
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190-191).

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب:  
(وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه  
روحك في السماء، وذكرك في الأرض!) فانظر



وتدبر: هل أنت فعلاً ممن يقرأ ويذكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحداً!

### تبصرة: في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداءً، فذلك أفضل؛ لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كان يكون مسافراً فيقطع المسافات بتلاوة أوراده، من قرآن أو أذكار. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: 191) وإنما ورد حديث (سبق المفردون) - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره عليه السلام فقد قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة الذين كانوا

معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمُذَانُ. فَنَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمُذَانُ. سَبِّحُوا الْمَفْرُودُونَ!» قَالُوا: وَمَا الْمَفْرُودُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ!»).

إلا أن الجلوس له أفضل قطعاً؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذكر، الذي سبق إيراده أيضاً. قال الإمام السنوي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يُستحبُّ الذكر يُستحبُّ الجلوس في حلق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...)) وروينا

في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حلقة من أصحابه فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: الله ما أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَٰلِكَ؟ قالوا: والله، ما أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَٰلِكَ، قال: أما إني لَمَ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَّكُمْ؛ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ! (42)

هكذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللأذكار أن تمد صوتك بالحروف مداً حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو

42 - من مقدمة المصنف رحمه الله كتاب الأذكار - الخامسة، دار ابن كثير.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
الثابت في سنة القراءة عند رسول الله ﷺ، فقد  
أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن  
رسول الله ﷺ كان يمد صوته بالقرآن  
مداً<sup>(43)</sup>. قال السندي في حاشيته على  
النسائي: (قوله: «يمد صوته مداً» أي يطيل  
أخروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر  
والتفكير، وتذكير من يتذكر)<sup>(44)</sup>.

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر. وأما  
مشاهدة المقاصد والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا  
يمكن أبداً شرحها بعبارة، وإنما يتلقاها المتعلم

<sup>43</sup>- روه أحمد والنسائي وابن ماجه وإسحاق وأبو داود  
وصححه الألباني انظر حديث رقم: 5013 في صحيح الجامع.  
<sup>44</sup>- حاشية السندي على سنن النسائي (باب مد الصوت  
بالقراءة)، حديث رقم: 1008.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في  
مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانية للذاكر.  
ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن  
هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء الله أن  
تكون ذاكراً، فاتق الله يعلمك الله؛ ويزدك من  
فضله؛ عسى أن تكون من الربانيين، والمُفَرِّدين  
السَّابِقِينَ.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

### تبصوة:

لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة  
آيات وأذكاراً نبوية، تكون لك ورداً يومياً،  
تسلك من خلاله إلى الله تعالى، وتتعهد به قلبك  
حتى يدوم على نداوة الإيمان، ويستعين بها على  
الترقى بمدارج التعرف إلى الله ذي الجلال؛ فيزداد  
إشراقاً بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها الخب - مختارات من  
ذلك، مما صح الإرشاد إليه عن رسول الله ﷺ،  
واشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت  
لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل  
الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما  
هو آيات ومنن صحيحة. لكن احذر أن يفوتك

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
ذكر الله بـ (منهج التلقي) - كما شرحناه قبل -  
فصوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنية وعبارة  
نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك أثر! وإنما  
الذِّكْرُ تَذَكُّرٌ. فتدبر ثم أبصر!

### الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام

القرآن العظيم كلام الله ذي الجلال. وكفى بذلك حقيقة عظيمة! وكلام الله جل جلاله، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلوه من حروفه؛ حرفاً حرفاً! ولا خير فيمن هجر القرآن! وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في ذلك: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول الله.

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله

وأعطيت مكان الإنجيل الثاني، وقُضِّتْ بالمفصَّل<sup>(45)</sup>. فيل تقرأ القرآن حقاً؟ تحقق قبل أن تجيب! إن كان لا؛ فحاول أن تقرأه! وجرب!

<sup>45</sup> - رواه الطبراني وابيهقي في سننه، وصححه الألباني. هذا حديث رقم: 1059 في صحيح الجامع. وما يدل على ذلك، أيضاً قوله ﷺ: (تخفف على داود القرآن فكان يأمره، فيسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرح دوابه! ولا يأكل إلا ما عمل يده). رواه البحاري. فهذا الحديث دال على أن يكسب كتاباً مغلولاً، وإنما كان على حجم بعض سور العنقود من (المنين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أنه والنتون هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلاً، كالكهف مثلاً. وبذلك يفهم كيف يكون الزبور مغنماً لمن المسلمين. وهو هنا مما قرأناه لأن كل كتاب أنزل بلسان الفسوة يسمى قرآن، إلا أن خصوص التسمية عند تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله

إن هذا القرآن سر لطيف، وكثر رباني عجيب، لو تتلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجباً ولأبصرت منه بصائر الكون جميعاً فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال عز وجل في فاتحة سورة البقرة: (ألم. ذلك الكتاب)، أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن. فتجلي لهم منن، وتنتضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول الله ﷺ في حديث عجيب حق عجيب: أُعْطِيَ مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المنين،

وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن **«الْمُتْلُونَ»** حَقِّ تِلَاوَتِهِ. **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (البقرة: 121). أَدْخُلْ بَابَ الْقُرْآنِ متجرداً من كل الأحوال؛ إلا حال الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب! وابصر في الآيات بصائر الحياة، واقرا ثم اركع واسجد؛ تكن بحول الله من المبصرين!

لنبارك بورد الأذكار؛ فلك أن تجعل ورد القرآن مساءً، أو بليلاً.

إن قرآن المساء وذكره - كقرآن البكور - له ذوق خاص عند الذاكرين المفردين، كما في كتاب الله. قال عز وجل: **«وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ»** (الأعراف: 205). فالغدو هو البكور من الصباح، أي أول النهار وبدايته. والآصال، مفردة: أصيل. وهو كما في كتب اللغة والتفسير: (وقت ما بين العصر إلى الغروب). فهو سويقات آخر النهار، حيث يبرد حر الشمس، وقد أشتتها، وتلين أضواؤها؛

## تبصرة: في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن المؤمن لا يعيش حياته ارتجالاً. سواء في ذلك عباداته وعاداته. كيف وقد جعل الله علينا فرائضه أوقاتاً؟ **«إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»** (النساء: 103). ومن هنا كان إرشاد الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها ذات جمال خاص للعبادة والذكر. وقد كانت أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب الله - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن هو لتلك الأوقات جميعاً. لكن لك أن تختار منها حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعاً أفضل من بعض، كما سترى بحول الله. فإن كنت بدأت

وتطول الظلال وتمتد. ولذلك كان من أجل أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء. فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال عز وجل: **«فَإِذَا بَيَّوْتُ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَكَاسٌ بَيْنَعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»** (النور: 36-38).

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره، حيث تجتمع

إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال التسيحات! قال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: 17-19)، وقال تعالى في ذلك أيضا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبا: 10). ومعنى أَوَّي: سبى! والثاويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع معه وتردد التسيح بوعيا؛ تستخيرا من الله، لا بالصدى. لأن الأوتة كالنوبة وزنا ومعنى. فالعشي أو الأصيل وقت فيه أمرار عجيبة، منها أنه وقت سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد القهار. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَّعًا وَكَرْهًا وَطِلَالُهُمُ الْمُسَدِّمُ وَالْأَصَالُ﴾ (الرعد: 15).

ومنها أنه وقت الذاكرين المخلصين الذين يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28).

اجعل لك إذن جلسة قرآنية بالمساء تسو كتاب الله ذاكرا متدبرا. اقرأ فيها وردك من القرآن العظيم، على ما ربت على نفسك من الأحزاب والأجزاء، حسب دورة ختمتك للقرآن كل شهر، أو كل أربعين يوما، على حسب

وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث<sup>(48)</sup>. ثم قال ﷺ: اقرأ القرآن في أربعين<sup>(49)</sup>.

ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة يحفلون بختم القرآن بمنزلهم. فغن ثابت أن انس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم<sup>(46)</sup>.

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها - على الأحسن - ما بين شهر وأربعين يوما، وذلك قول رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في عشرين ليلة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! ولا تزد على ذلك<sup>(47)</sup>. وقال ﷺ أيضا: اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس

<sup>46</sup>- أورده الميمني بمجموع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم

القرآن) وقال: رواه الطبراني ورحاله ثقات. مجمع الزوائد:

الحديث رقم: 11713.

<sup>47</sup>- متفق عليه

<sup>48</sup>- رواد أحمد عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني

نظر حديث رقم: 1157 في صحيح الجامع.

<sup>49</sup>- رواه الترمذي عن ابن عمر. وحسنه الألباني. أخر حديث

رقم: 1154 في صحيح الجامع.



## تبصرة في قرآن القيام:

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءا من ورد القرآن صلاة ليل. وإن نشط سرك فاجعله كله قياما! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)). قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(50)</sup>. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ

— متفق عليه —

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران: 113).

انظر كيف أناروا لبالهم الخضراء بتلاوة القرآن صلاة ليل! والخرطوا في حركة سر إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من الحية أنوار الأشواق، في خلوة القرآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ عامة: (وَمُخَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، يَتَسَنَّوْنَ. تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَقَفُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقٍ. يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

ساعة الله الجنة<sup>(51)</sup> والإدلاج: هو السير ليل، أو السفر الليلي، من الدلجة: وهي الظلمة. والمقصود طبعاً قيام الليل. شبهه بالإدلاج، لما فيه من معنى السفر الروحي، وتخليق النفس في فضاءات السر إلى الله.

فيا أيها السالك الخب! إن كنت صادقاً، فأخي جزءاً من ليالك بالقرآن! وخاصة تلكه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه، وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل من وقت الأصيل أو البكور. وفي كل خير.

<sup>51</sup>— رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني. انظر حديث

رقم: 6222 في صحيح الجامع.

أَمَرُوا وَغَسَّلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29). فعجبا لمن يبصر هذا الجمال ولا يلستحق بالركب! عجباً كيف تبطن يا أخي والسير قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أدلجوا عبر منازل السرى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعاً وسجوداً، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المفردين السابقين! قال المصطفى ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردا عن  
الصلاة! وكلما اختلى الإنسان بصلاة النافلة  
كانت أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة  
من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول الله  
ﷺ، وهو حديث عجيب لمثله تشد الرجال! قال  
ﷺ: صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس  
تعدل صلاته على أعين الناس خمسا  
وعشرين! (52)

ولذلك يحسن جعل ورد القرآن كله بليل؛  
لأنه أضمن للخلوة مع الله جل جلاله، فهو أفضل

52- رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي رضي الله  
عنه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3821 في صحيح  
الجامع

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
من الأصل قطعاً وآخر الليل أفضل من أوله،  
كما هو ثابت في السنة. قال ﷺ: إذا مضى  
شطر الليل أو ثلثاه يترى الله إلى السماء الدنيا  
فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع  
فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى  
يستفجر الصبح (53) ولذلك قال ربنا جل وعلا  
بنص القرآن العظيم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ  
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا﴾ (الرحل:6).

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما  
تطيق! واشتغل بالأوراد على حسب ظروف  
عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرر من  
الأوقات ما يعينك على دوام العمل لذلك أفضل.

53- رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
وفي الحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ  
مَا تُطِيقُونَ! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنْ أَحَبَّ  
الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ (54) وفي  
رواية أخرى صحيحة: اكلفوا من العمل ما  
تطيقون! فإن الله لا يعمل حتى تملوا! وإن أحب  
العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قلَّ! (55) وأما  
الذي يشتغل بالحفظ لورده القرآني إنما هو  
الاشتغال بحفظه ضبطاً وإتقاناً، والقيام به من  
الليل قياماً. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملاً.  
وآنئذ ينخرط في سلك الحتمات الكلية.

54- متفق عليه واللفظ للبخاري.

55- رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر

حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
وقد جوز العلماء لمن غلبه النوم قضاء أوراد  
القيام صدر النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: مَنْ قَامَ  
عَنْ حَزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ  
الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ  
اللَّيْلِ (56). لكن لِمَ لا تكون من الذاكرين  
السابقين؟ بل لِمَ لا تكون من القانتين؟ بل لِمَ لا  
تكون من المقنطين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك  
إبليس قوياً وتنبيطاً؟ ثم كيف لا بعد؟ وهذا قول  
رسول الله ﷺ يعرض عليك أجراً يمدد بحر الغيب  
مدداً..! يقول ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب

56- رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين!  
ومن قام بألف آية كتب من المقتدرين! (57)

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر -  
ولا تكن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلا  
ست آيات، وسورة الإخلاص: (قل هو الله أحد)  
أربع آيات، فتلك عشر! لكن أحسن تدبرها  
وأحسن ركوعها وسجودها! فقد قال ﷺ:  
أيعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟  
إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله  
أحد" جزءا من أجزاء القرآن (58). وإن أنعم الله

57- رواه أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمرو مرفوعا.  
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6439 في صحيح الجامع  
58- رواه مسلم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
عليك يا سالك بمحبته، ومن عليك بإقبال عزمة  
التعبد، وانتهاضا للسير الدائم إليه، المشتاق إلى  
نور جماله وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن  
ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تنفلك  
في قبرك، فتكون لك فيه حصنا من عذابه  
- عافانا الله وإياك من عذابه - إنها سورة الملك!  
أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر  
كما في الأحاديث الصحاح، ولهذا فتسمى أيضا  
بـ (المانعة). قال رسول الله ﷺ: سورة تبارك  
هي المانعة من عذاب القبر (59). وقال أيضا:  
إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل

59- رواه ابن مردويه عن ابن مسعود. وصححه الألباني.  
انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
حتى غفر له! وهي: "تبارك الذي بيده الملك" (60).  
ومثله قوله ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا  
ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته  
الجنة! وهي تبارك (61).

ولك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف  
خاصة (62)؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة

60- رواه أحمد والأربعة وابن حبان وإسحاق عن أبي هريرة.  
وقال الألباني: حديث حسن. انظر حديث رقم: 2091 في  
صحيح الجامع.

61- رواه الطبراني في الأوسط والضعف عن أنس. وحسنه  
الألباني. حديث رقم: 3644 في صحيح الجامع.

62- بشرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛  
نسهي النبي ﷺ عن ذلك، قال: (لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من  
بين الليالي، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن  
يكون في صوم يصومه أحدكم!) رواه مسلم. فمن كان في قيام

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
لمن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالغدوة. فقد  
قال ﷺ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛  
أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! (63).  
ومثله قوله ﷺ: من قرأ سورة الكهف في يوم  
الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين! (64).  
قال ابن حجر في أماليه مبينا ذلك: (المراد: اليوم

يقوم يومها، أو يوما بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة  
أعلاه، ولما هو مفهوم من حديث انتهى هذا.

63- رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم  
بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم:  
6471.

64- رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني و  
صحيح الجامع رقم: 6470.

بليته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل صلاة النوافل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا تملمه ولا تمجره! بل اشتغل به ذكرا بالنهار، وقياما من الليل، ثم تدبرا وتفكرا في كل حين! اجعله زاد طريقك، وصاحب سفارك، وخليل خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر ان تصيبك شكوى رسول الله ﷺ مما حكاها الله في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

### الفصل الرابع: في عهد البلاغ

وهذا عهد فصلناه في كتبنا (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز شديد، لكمال التطبيق وشمول التحقيق لميثاق العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد العمل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السلوك في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصلحين بحول الله. فيخرج بذلك من القول إلى العمل، إذ لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقا في حياة الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية

في الزمان والمكان، لا نصوصا تتلى فقط، ولا قصصا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها الإنسان عَمَلًا. ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

والإسلام لما بين بلاغاته للناس؛ بين لهم - فيما بين - وسائل الوصول إليها، وطرائق اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملا، ولكل عمل بابا، ولكل باب مفتاحا.

### تبصرة في المفاتيح الثلاثة:

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها، نسكها في العبارات التالية:

1- اغتنام المجالسات

2- والتزام الرباطات

3- وتبليغ الرسالات

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالسات. وهو أن تحرص على (مجالس القرآن)، قصد التعرف إلى الله والتعريف به، والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ والتحلم بحلمه. و(مجالس القرآن) هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أنها

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
محبوبة عند الله، مذكورة في ملكه الأعلى، تشهدها  
الملائكة؛ وتزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة،  
ويذكرها الله فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها  
في تربية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح.  
وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غش فيها  
ولا غبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة  
بالمعنى، عبر الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر  
منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة  
مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والذي فيه: «ما اجتمع قوم  
في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه  
بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
وأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدها،  
وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فما يسألوني؟  
فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟  
فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف  
لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد  
عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.  
قال: فممن يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول  
الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما  
رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو  
رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.  
فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم! فيقول ملك  
من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن  
عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه<sup>(65)</sup>.  
وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو  
هريرة أيضاً، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: إن الله  
ملائكة سياحين في الأرض، فضلاً عن كتاب  
الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر،  
فإذا وجدوا قوماً يذكر الله تنادوا: هلسوا إلى  
حاجاتكم! فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا،  
فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟  
فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك  
ويعمدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله  
ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
حاجة! فيقول: هم الجلساء لا ينقصهم  
جلسهم! <sup>(66)</sup> والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.  
ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف  
التالية:

- أ- الاشتغال بالله تعرفاً وتعريفاً
- ب - الاشتغال بالقرآن تبصراً وتصيراً
- ج- الاشتغال بالشمال الحمدية تخلقاً  
وتخليقاً.
- الخطوة الثانية: التزام الرباطات.
- وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات، قصد  
شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

فَالْمَقْصُودُ بِـ (الرِّبَاطَاتِ) إِذْنُ: بَيُوتِ اللَّهِ،  
حَيْثُمَا كَانَتِ. «فِي بَيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ  
وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ  
رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بَيْعَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ  
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ  
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ» (النور: 36-38). ذَلِكَ مَا سَمَاهُ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ بِـ (الرِّبَاطِ): فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي  
قَالَ فِيهِ ﷺ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ  
الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ  
اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ  
الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ.

فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ  
الرِّبَاطُ! <sup>(67)</sup>. فَتَدْبِرُ.. ثُمَّ أَبْصُرَا!

ثُمَّ اجْتَهِدْ أَيْهَا السَّائِرُ اغْبِ، وَالْفَتَى الْمُرَاطِبُ:  
لِتَكُونَ صَلَاتُكَ صَلَاةً حَقًّا. وَاحْذَرِ عَلَيْهَا مِنْ  
شَيْئَيْنِ: نَقَرِ الْغُرَابِ، وَشُرُودِ الْبَالِ. فَإِنَّمَا الْمُرَاطِبُ  
مِنْ رَابِطٍ بِقَلْبِهِ وَوُجْدَانِهِ، لَا بِيَدْنِهِ فَقَطْ! وَإِنَّمَا غَايَةُ  
الرِّبَاطِ صَلَاحُ الصَّلَاةِ، وَإِقَامَتُهَا حَقَّ إِقَامَتِهَا. فَإِذَا  
فَسَدَتْ كَانَ ذَلِكَ مُضِيعةً لِلْأَعْمَارِ وَسِيلًا إِلَى  
النَّارِ! نَعُودُ بِاللهِ مِنْهَا! فَاجْعَلْ رِبَاطَكَ فِتْنَةً  
لِّعِمْرَانِ الصَّلَاةِ. إِنِّي بِنَاءٌ فِي قَلْبِكَ وَوُجْدَانِكَ،  
كَمَا تَبْنِي حَيَاتَكَ لَحْظَةً لَّحْظَةً، وَحَرَكَةً حَرَكَةً!  
وَاجْعَلْ نَصَبَ عَيْنَيْكَ مَعْلَمَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

<sup>(67)</sup> - رَوَاهُ مَالِكٌ فِي مَوْطَعِهِ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

يَعْلَمُكَ وَيُصْلِحُ لَكَ، كَمَا كَانَ يُصْلِحُ صَلَاةَ  
الْمَسِيءِ صَلَاتِهِ، بِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ.  
فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى. ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.  
فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ  
فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ! فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ  
صَلَّى. ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
"وَعَلَيْكَ السَّلَامُ" ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ  
تَصَلِّ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ  
الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَحْسَنَ غَيْرَ هَذَا!  
عَلِّمْنِي! قَالَ ﷺ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ.  
ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسرُ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ. ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى  
تَظْمَنَ وَارْكَعَا. ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا. ثُمَّ اسْجُدْ

حَتَّى تَظْمَنَ سَاجِدًا. ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَظْمَنَ جَالِسًا  
ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا <sup>(68)</sup>.

وَقَدْ وَرَدَ لِهَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ عَجِيبٌ فِي  
حَدِيثٍ آخَرَ، فِيهِ دَلَالَةٌ لَطِيفَةٌ عَلَى طَلَبِ  
الْإِظْمِنَانِ الْبَدْنِيِّ وَالنَّفْسِيِّ وَالِاسْتِرْخَاءِ الْعَتَبِيِّ:  
بِمَا يَكْفُلُ هَدْوَةَ الْمُصَلِّي، وَسَكِينَتَهُ، وَمَرْحَلَةَ  
الْوُجْدَانِيَّةِ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّهُ لَا تَتِمُّ صَلَاةُ  
أَحَدِكُمْ حَتَّى يَسْبِغَ الْوُضُوءَ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ.  
فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحُ رَأْسَهُ،  
وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يَكْبِرُ اللَّهَ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُعْجِدُهُ،  
وَيَقْرَأُ مَا تيسرُ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَذْنَ لَهُ

<sup>(68)</sup> - مِشْقُ الْعَهْدِ.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه،  
ويركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي..!  
ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائما حتى  
يأخذ كل عظم مأخذه، وقيم صلبه، ثم يكبر  
فيسجد، فيمكن جبهته من الأرض، حتى  
تطمئن مفاصله وتسترخي! ثم يكبر فيرفع  
رأسه، فيستوي قاعدا على مقعدته، فيقيم صلبه،  
ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه ويسترخي! لا  
تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك! (69).

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة:  
صل! فإنك لم تصل! وإن كان لك أن تصلي في يوم

(69) - رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وصححه  
الألبان في صحيح الجامع الصغير. (2421)

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 88-89).

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام القطيعة  
بينك وبين عالم المنكرات، وظلام الكبر  
والموبقات. إن التزمته حقا كان لك حصا حصينا  
من الانحراف والضياغ، وسدا منيعا دون التردى  
والسقوط. وذلك قول الله عز وجل الصريح  
المليح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45). فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام  
بالبلاغات، والدعوة إلى الخيرات.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف  
البلاغ؟)

أما تأصيله فقد سبق تقريره بقواعده، في  
تبصرة البلاغ الخامس، من كتبنا (بلاغ الرسالة  
القرآنية).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله  
تبصرة: كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خير)  
هذا الدين. فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي  
اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة  
الإسلامية، على الجملة. ثم إننا المقصود بمشروعنا  
هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي  
لأن فيه التدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب  
مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى (إبصار).  
إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح  
مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله  
سبحانه في قوله: ﴿فَوَوِّثَاهُمْ لِنِظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا  
يُنْصَرُونَ﴾ (الأعراف: 198)، وقوله سبحانه:



ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 ﴿وَكَايْنٌ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ  
 عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: 105).  
 فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ  
 (التبصير)، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة  
 القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن  
 العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف  
 الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات وحفظ  
 الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع  
 السنة؛ تزكية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله  
 في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل،  
 لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتَعَرِّفًا وَمُعَرِّفًا.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك  
 الرئيسية، لسير العبد إلى الله في طريق التبصُّر  
 والتبصير.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

### الفصل الخامس: في المختار من الأذكار

وهو أقسام:

أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان  
 الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ  
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ  
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (70). آمين.

70 - نفس سورة الفاتحة - عند من يعصرها - لا تدارى  
 القرآن، ولا فيما سبقه من كتابا ويكتبها عظمة ودارا أم

الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْم﴾ ذَلِكَ  
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِأَنعَمَ وَبَيِّمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

المسماة (أم القرآن)! وهي التي امتن الله بها على خليله المصطفى  
محمد ﷺ في قوله تعالى: (وَنَقُذَّ أَبْنَاءَكَ شَفَاعَةً مِنَ الْغَنِيِّ وَالْقُرْآنَ  
الْعَظِيمِ) (الحجر: 87). ولذلك قال النبي ﷺ (أم القرآن هي:  
السجدة المشائية والقرآن العظيم) رواه البخاري. وأوضح منه قوله  
ﷺ: (والذي نفسي بيده! ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل،  
ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثيلاً وإنما نزل من الثاني  
والقرآن العظيم الذي أعطيناه) رواه أحمد والترمذي عن أبي  
هريرة. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 7079 في صحيح  
الجامع

﴿إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ  
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. يَعْلَمُ  
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ  
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ. وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ﴾ (72).

وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته! يعني  
ما ورد فيهما من الدعاء. رواه مسلم.

72 - لقد أقر النبي ﷺ ما سمعه أبو هريرة من حديثه بلين إذ قال  
له: (إذا أويت إلى فراشك، فاقرا آية الكرسي من أولها حتى  
تختم: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم". وقال لي: لن يزال عليك  
من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) رواه البخاري.  
وقال ﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يضره

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 1-5).

71 - وعن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -  
(من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت لم يدخله  
البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أولها ورواه  
الكرسي، وآيتين بعدها: وخواتيمها) رواه الألباني. وهذا  
المعنى: (ورحاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من  
ابن مسعود) مجمع الزوائد، حديث رقم: 17013. وهذا  
ذلك أحاديث أصح. وفضلاً عن أنه قرآن متعبد بتلاوته. وهذا  
صح خصوص الذكر بذلك في أحاديث متناثرة منها ما رواه  
مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (يبدأ بحول الله  
عند النبي ﷺ مع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب  
من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك  
فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، مسلم  
وقال: أبشر بمرين أو تينهما لم يولهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب.

﴿إِلَّا إِخْرَافَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ  
الْغَيِّ. فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا. وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ  
الطَّاغُوتُ. يُخْرِجُونَهُم مِّن النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة  
255-257).

﴿إِلَّا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَإِن  
تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوِ تَكْفُرُوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ

من دعوى الجنة إلا أن يموت). رواه النسائي وابن حبان عن أبي  
أمية. تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 6464 في  
صحيح الجامع.

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وَكُنْتُمْ بِهِ وَرُسُلُهُ. لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. (البقرة: 284-286) (73).

73- هل تدري ما خواتيم البقرة؟ إنما آيات تلقاها رسول الله ﷺ وحيا في السماء ليلة الإسراء والمعراج! ففي صحيح مسلم عن

عبد الله قال: (لَمَّا أُسْرِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. إِنَّهَا تَنْتَهِي مَا فَوْقَ بِهَا مِنَ الْأَرْضِ. فَيَقْبِضُ مِنْهَا. وَإِنَّهَا تَنْتَهِي مَا يُهْبِطُ بِهَا مِنَ فَوْقِهَا. فَيَقْبِضُ مِنْهَا. قَالَ: إِذَا يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" (الحج: 16) قَالَ: فَرَأَى مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الصَّفَوَاتِ النُّعْمَ. وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَأَغْفَرَ لِمَن لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا مُفْجِحَاتٍ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَمِنْ شَيْئَا مِنْ أَسْرَارِهَا؟ تَذِيرٌ لِذَلِكَ هَذِهِ الْخَدِيشِينَ:

الأول: قول رسول الله ﷺ: (أَعْطَيْتُ هَذِهِ آيَاتٍ مِنْ أَمْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ مِنْ كَرَّمَ عِثْرَ الْعَرْشِ، لَمْ يَعْطَاهَا نَبِيٌّ قَبْلِي) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَدِيثَةٍ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي وَصْحَحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. انظر حديث رقم: 1060 في صحيح الجامع والثاني: قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ وَهُوَ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَإِلَى أَوَّلِ آيَتَيْنِ حَتَمَ بِمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي دَارِ الْآلَاتِ لِيَا فَيَقْرَءُ الشَّيْطَانُ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالسَّامِيُّ وَابْنُ أَبِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (أَلَمْ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (آل عمران: 1-6) (74).

بن بشر. وصححه لألباني انظر حديث رقم: 1799 في صحيح

الجامع

74- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه)

فَوَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا. وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا وَرَقٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَرَفَّقُ بِاللِّسْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَوَّحْتُمْ بِالنَّهَارِ. ثُمَّ يَنْفَعُكُمْ فَيُدْ

رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 979 في صحيح الجامع

وقال أيضا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: وَهُوَ الَّذِي يَتَرَفَّقُ بِاللِّسْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (البقرة: 163)، وَهُوَ الَّذِي يَتَرَفَّقُ بِاللِّسْلِ. (أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). رَوَاهُ أَحْمَدُ. دَاوُدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ. انظر حديث رقم: 980 في صحيح الجامع.



فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ. فَخَبَّطْتَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. قُلْ لَوْ كَانَ الْحِجْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي. وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَادًا<sup>(76)</sup> (الكهف: 99-110: النهاية).

76- سورة الكهف عظمة العضل جلتاً وقد ورد في فضله، وفي فضل أوليائها، وأواخرها؛ أحدثت كثرة منها، قد عرفت (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف حفظ من سنة الدجال) رواه مسلم. وفي رواية عنده: (من أجز الكهف) ومن ذلك أيضاً أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وصاه من فضله قال ﷺ: (فمن أدركه منكم فليقرأ عند موته سورة الكهف) رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: (يا أيها الناس! هذا لم تكن فتنة على وجه الأرض - منذ ذرأ الله ذرية آدم - أعطاه من فتنة الدجال! وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال! وأما آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو: حُرَجُجٌ لا محالة (...) وإن من فتنة أن معه حنة وتاديب، فله حنة وجهته ناراً فمن ابتلي بناره فليستغث بالله! وبشرأ فوبخ لكهف! رواه ابن ماجه وابن عريضة، والحاكم، والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7875.

وهي سورة تتول الملائكة على قلوبها رحمة وسكينة! فعن الربيع: قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف. وعنده قرآن مرتبط ببطون [أي: بحسين]. فتفتتته سخابة. فحطت ثوبه وتذو وجعل قرآنه يقرأ منها. فلما أصبح أتى النبي ﷺ. فذكر ذلك له. فقال: «ذلك السكينة تنزلت للقرآن» متفق عليه. وقد وردت هذه الفصصة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسد بن حضير رضي الله عنه، بئناً هو ليلة يقرأ في مريده؛ إذ جالت قرآنه فقرأ ثم جالت أخرى! فقرأ ثم جالت أيضاً فان أميت؛ فحشيت أن تظا نخس. [يعني أنه الصفر] ففقت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال أسرج! [ج. سراج: وهي المصباح] غرقت في الحو حتى ما أراها! قال ففقدت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بئناً أنا النارية من خوف المثل أقرأ في مريدي، إذ جالت قرآني! فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ! إن حضير! قال: فقرأت؛ ثم جالت أيضاً! فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ! إن حضير! قال: فقرأت؛ ثم جالت أيضاً! فقال رسول

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

اللَّهُ ﷻ: «اقرأ! إن حضير! قال: فاصبر. وكان يخبئ قرآناً منها؛ حشيت أن تظا. فقرأت مثل الظلة. فيها أمثال! غرقت في الحو حتى ما أراها! فقال رسول الله ﷺ: «ذلك أملاكك كانت تستمع لك! وتو قرأت لأصبحت تراها الناس! ما تستبر منهم!» رواه مسلم.

وقد صح فضل قراءتها من يوم الجمعة، في غداها أو ليلتها. ﷻ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له نور ما بين وبين البيت العتيق) رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 6471. ومثله قوله ﷻ أيضاً: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعة والجمعة) رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 6470.

وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. (سجدة: (الحج: 18))  
فَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ. الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي ثُبُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ

تَعْمَلُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ. لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. (النور: 35-37))  
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.﴾ (لقمان: 27-30)  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.﴾ (الحشر: 18-24) (77).  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (78).

77- يقول الله جل جلاله. (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: 180). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائة غير مائة) لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة. وهو وتر يحب الوتر. وفي رواية أخرى من الصحيح: (من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه.

78- قال ﷺ: (إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: قل يا أيها الكافرون" ثم امسك على خاتمتها فلها براءة من الشرك). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه البيهقي عن يوهل بن

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.  
اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ.  
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا  
حَسَدَ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

معاوية، كما رواه السائي والبخاري وابن فائع واضياء عن  
جبهة بن حارثة. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 292 في  
صحيح الجامع.

### استغفار

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا  
عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى غَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ،  
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ  
عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
إِلَّا أَنْتَ<sup>(80)</sup>.

80- وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه،  
عن النبي ﷺ قال: "سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ  
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ... إلخ (كما هو مذكور أعلاه) فقال ﷺ  
بعدها: مَنْ قَالَهَا بِالنَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ  
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ  
قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ فَبُورٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

الْخَنَاسِ. الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ  
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. (ثلاث مرات)<sup>(79)</sup>.

79- قال النووي في كتاب الأذكار: (ورويها في سنن أبي داود  
والترمذي والسائي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة، عن عبد الله بن  
بن حبيب - يضمن الحاء المنعجمة - رضي الله عنه قال: خرجنا  
في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب النبي ﷺ فوجدناه  
فأدركناه، فقال ﷺ: قُلْ! فلم أقُلْ شيئاً، ثم قال: قُلْ! فلم أقُلْ  
شيئاً، ثم قال: قُلْ! فقلت: يا رسول الله! ما أقول؟ قال: "هُوَ  
اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمَعُودَتَيْنِ، حِينَ لَمْ يَلِدْ وَحِينَ لَمْ يُولَدْ، ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" قال الترمذي: حسن.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ،  
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. (ثلاثاً)<sup>(81)</sup>.

81- كان من له منعه من الوقت أن يبلغ بها المائة إلى صلاة  
أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ  
أَلْفَ مَرَّةٍ". وقال ﷺ: (استغفروا ربكم إِنِّي اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ  
إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ). رواه البخاري، وصححه الألباني. انظر  
حديث رقم: 944 في صحيح الجامع. وقال ﷺ: (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ  
عَلَى فُلِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) رواه مسلم  
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ  
فَانِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتَى بِهِ  
عَفَرَتِ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ) رواه أبو داود  
والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري  
ومسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني أيضاً في صحيح  
الترمذي: 172/3.



اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ  
اللَّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. (تالاف) (83)

٨٣ - التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، تلك أربعة أنواع من الذكر متواترة عن رسول الله ﷺ، وذلك من خلال أحاديث كثيرة. منها قوله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول: - بحمد الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ، طلعت عليه الشمس) (رواه مُسْنِدُ). وقوله ﷺ: (يسبح عليّ كحل سُلّاميّ من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل غليظة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، ...)

بالمعروف صدقة، وهي عن الشكر صدقة. ويجزي من ذلك  
كعتان تركعهما من الضحى) رواه مسلم. وروى أيضا عن  
النبي ﷺ أنه قال: (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله،  
والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. إنما هن أربع؛ فما تزيد  
عليها) رواه مسلم. وقال رسول الله ﷺ في ذلك أيضا (قرب  
إبراهيم ﷺ ليلة أسري بي فقال: يا عبد الله استلم معي  
السلام) وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها بستان،  
وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله  
أكبر) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله  
الحمد، وهو على كل شيء قدير. (عشر  
مرات) (84).

وَسَبَّحَانَ اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ قُلْ أَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مِنَ الْغَيْبِ ۖ  
تُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمِنَ اللَّيْلِ تُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُثَنَّمٍ (أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي  
صَلَاةً، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ كَمَا

### الصلاة الإبراهيمية

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد (عشر مرات) (85).

85- هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرها. منها ما أخرجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سمعت كعب بن عجرة قال: ألا أهدى ليك هدية تمنعها من النجاسة؟ فقلت: بلى. فأهدها لي، فقلت: سألك رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علم كيف تسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... إلخ) متفق عنه.

ولك أن تختصرها - إن شئت - هكذا:

ومفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جداً، وهو خير كبير، وقد وردت في ذلك أحداث صحيحة. قوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر) رواه مسلم. وقوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجة). رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والمسائي واحدكم، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6359 في صحيح الجامع وقوله ﷺ: (كل دعاء محبوب حتى يُسأل على النبي صلى الله عليه وسلم وآل محمد) رواه الترمذي في مسند الأئمة عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع. وقال ابن أبي عمير: (رواه الزوائد، عن الرواية الموقوفة على علي رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط ورجاه ثقات).

### دعاء الصباح والمساء

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده (86). اللهم بك أصبحنا،

86- هذا الدعاء مركب من حديثين: الأول رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أُمسى قال: أَمْسِنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له... إلخ) إلى أن قال: "وإذا أصبح قل ذلك أيضاً، أصبحنا وأصبح الملك لله" رواه مسلم.

(اللهم صل وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد). (عشراً)

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك  
المصير<sup>(87)</sup>. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة

والثاني: روى أبو داود قال: قال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم  
فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم أني أسألك  
خير هذا اليوم... إلخ، إلى أن قال: (ثم إذا أمسى فليقل مثل  
ذلك) وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 352 في صحيح  
الجامع.

<sup>87</sup>- وقال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا  
وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى  
فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت  
وإليك المصير) روى الترمذي عن أبي هريرة. وحسنه الألباني  
في صحيح الجامع الصغير: انظر حديث رقم: 353

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أينا إبراهيم  
حنيفا مسلما، وما كان من المشركين<sup>(88)</sup>.

ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت  
من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة  
المسلمين.

ثم تختم بقولك: (سبحانك اللهم وبحمدك.  
أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب  
إليك)<sup>(89)</sup>.

<sup>88</sup>- كان [النبي ﷺ] إذا أصبح وإذا أمسى قال: 'أصبحنا على  
فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص... إلخ' رواه أحمد والطبراني،  
ومحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4674 في صحيح الجامع

<sup>89</sup>- قال ﷺ: (كفارة المجلس أن يقول تعبد: سبحانك اسمي  
وعظمك أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك له،

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
وليكن ذلك آخر كلامك بذلك المجلس.  
فتقوم إلى صالح أعمالك الأخرى، من أمور دينك  
ودنياك، بنية التوبة والطاعة.

استغفرك وأتوب إليك.) رواه الطبراني عن ابن عمر؛ وعن ابن  
مسعود. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4487 في صحيح  
الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: (فإن قلنا في  
جلس ذكرك كنت كالطالع يطبع عليه! ومن قلنا في مجلس لغو  
كنت كفارة له!) رواه النسائي والحاكم عن جابر بن مطعم،  
وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: 6430 في صحيح  
الجامع

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

### تبصرة

ولا تنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة:  
فإن المسلم يحفظُ بها ويُسدِّدُ: الأول دعاء  
الخروج من المنزل، والثاني: دعاء النوم. والثالث  
دعاء الاستيقاظ من النوم.

فأما دعاء الخروج: فهو قول النبي ﷺ: باسم  
الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل، أو نضل، أو  
نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا<sup>(90)</sup>.

<sup>90</sup> - هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين: أوخما بور الحديث  
ﷺ: (مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - "باسم الله، تَوَكَّلْتُ  
عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" يُقَالُ لَهُ: كُفِّتَ وَوُفِّتَ.

وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي -: باسمك ربي وضعت جنبي وبك

وهديت، وتحتي عنك ليطمان قال الترمذي: حديث حسن زاد أبو داود في روايته "فيقول - يعني الشيطان للشيطان آخر كيف لك برجل قد هبني وكنتي ووقتي؟" رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: رقم: 499.

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه  $\text{ﷺ}$  (كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك من أن نزل أو تضل أو يظلم أو ينظم أو يجهل أو يجهل علينا) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 4708.

### تبصرة: في بَرَأقِ الأوراد

وهو الرود الصامت! يطير بك سراً في سبحات الروح! يطير بك عالياً، عالياً جداً! ثم.. سريعات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل الله وخاصته، سبحانه جل علاه!

وأي ورد أصدق على هذا المعنى من الصوم؟ ذلك هو بَرَأقِ الأوراد، ورافدها المتدفق على الوجدان بصمت!

تعددت النوافل وتشابكت في الخيرات، وتفرَّد الصوم بِسِرِّ الانتساب الخالص إلى الله! وإذا بالعبد الصائم يدخل في مقام من مقامات العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة بحساب! مقام (عبد الله) المخلص المخلص! الذي

أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (91).

وأما دعاء الاستيقاظ من النوم؛ فهو: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (92).

91- قال النبي  $\text{ﷺ}$ : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليغسل يديه ثلاثاً، ثم ليضع يده على ما خلفه عليه، ثم ليضطجع على - مع الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) متفق عليه.

92- أخرج الشيخان أنه  $\text{ﷺ}$  (كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت عنقه، ثم يقول: باسمك اللهم أحيا ونامت أسوت. وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيا بعد ما أمات وإليه النشور) متفق عليه.

أخلص الله حق صفاء؛ فأخلصه الله إليه؛ فكان من المخلصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق غيب لا طاقة لأحد من الخلق على سبر أغواره! فتولى الله جل جلاله لذلك إحصاء تلك المعاني، في صحيفة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، مما لا ذراية لأحد من الملائكة الكتبة به! (93) ولذلك قال النبي  $\text{ﷺ}$  فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف! إلى ما شاء الله!

93- قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير، بعد شرح هذا الحديث: (وأنا أجزئ به صاحبه جزءاً كثيراً وأقول الجزءء عليه بنفسه، فلا أكمله إلى منك مقرب، ولا أعوه؛ لأنه سِرٌّ بيني وبين عبدي، لا يطلع عليه غيري!) ص: 171.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
قال الله عز وجل: {إِذَا صُمُوا فَذُكِّرُوا} فإنه لي وأنا أجزي  
به! يَدْعُ شهوته وطعامه من أجلي! (94).

لسان تكون من (الصائمين) حقاً، معناه: أن  
تكون لله وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع  
الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب  
المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى  
قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما  
يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت  
عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى  
أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،  
وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،

94- رواه مسلم

186

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتها، ولن  
استعاذني لأعيذته! (95).

النوافل شئ.. نعم؛ لكن أصفها مؤرداً،  
وأخلصها مسلكاً، وأقربها طريقاً موصلة إلى ذلك  
المقام: هو الصوم! فهو بُرَاقُ الأوراد، أو الورد  
الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال!  
إنه طريق سيار سريع؛ فلا تنس حظك منه! فأيامد  
لحظات تختلس من الدنيا! تمضي الدنيا وتغنى..  
وتبقى أيامه ضحى تمتد في الزمن الخالد!  
الصوم، نعم؛ لكن هل أنت تعرفه؟ فتعرف  
عليه أولاً! إنه تاج النوافل وزيتها، ومُحْ  
أسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك

95- رواه البخاري

187

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي  
البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟  
وإنما الصوم: ما تحقّق لك به الذكْرُ، وإلا  
فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات النبوة  
هذه، وتذبّر؛ ثم أبصر! قال رسول الله ﷺ: ربُّ  
صائم خَطْءٌ من صيامه الجوعُ والغَطَشُ! (96).

كيف الصوم الذي به يكون الذكْرُ إذن؟  
هذه آية من بصائر الصوم في طريق  
الصائمين؛ لإدراك منبع الحكمة، والتعرف على  
سرّ تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصرها ببال!

رواه الطبراني عن ابن عمر، ورواه أحمد، والحاكم،  
والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع،  
رقم: 3490.

188

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
قال تعالى مخاطباً السيدة الكاملة، مريم الصديقة:  
{إِنَّمَا ثَمَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أُخْذَا فَقُولِي إِنِّي سَدْرٌ  
لِّلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} (مريم: 26).  
هكذا: {فَلَنِ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} : صمت مطلق  
وقطعية تامة مع كل متكلم من الناس! نعم؛ ذلك  
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ (شَرْعٍ مِّنْ قِبَلِنَا) هو منسوخ  
بشريعتنا (97)، نعم؛ ولكن الحكمة ما كانت لتُسخ  
أبداً! وقد يُنسخ الحكمُ وتبقى مقاصده ثابتة،  
مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه.  
واليك البيان!

97- قال ﷺ: (لا صُفَاتَ يَوْمَ إِلَى الْيَوْمِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،  
وصححه الألباني رقم: 7609 في صحيح الجامع.

189

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
لقد كان الصوم - ولم يزل في شريعتنا -  
انقطاعاً وتبتلاً إلى الله جل وعلا. إنه اشتغال به  
وحده دون سواه؛ ولذلك تُوظَّف كل طاقات  
الجسم والنفس معا في العبادة؛ والتوجه إلى الله،  
بحيث لا تشتغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛  
حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن وتنقطع النفس  
عن كل كلام من اللغو والصخب والرفث<sup>(98)</sup>؛  
حتى تصفو الكلمات بالفهم طيباً من الذكر، أو مما  
يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش  
المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها لله!  
ويكون الصائم إذن صامتاً عن كل منازع

<sup>98</sup> - اصحح: الضحج والصراخ. والرفث: فاحش الكلام  
ومناقضه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عهد الله به،  
أو خدّم ذلك أصالة أو تبعاً تحقيقاً لحكمة النبوة  
العظمى، إذ قال ﷺ في بعض وصاياه: (عليك  
بحسن الخلق وطول الصمت؛ فوالذي نفسي بيده  
ما تجمل الخلائق بمثلهما)<sup>(99)</sup> وصح من شأنه  
عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت  
قليل الضحك)<sup>(100)</sup> ذلك سمّت المنقطعين إلى  
الله، من الأنبياء والصديقين. ولا شك أن من  
مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق  
ذلك المقام. ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ليس

<sup>99</sup> - رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب.  
الإيمان، وحسنه الألباني، رقم: 4048 في صحيح الجامع  
<sup>100</sup> - رواه أحمد وحسنه الألباني، رقم: 4822 في صحيح  
الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الصيام من الأكل والشرب؛ إنما الصيام من اللغو  
والرفث؛ فإن سأك أحد، أو جهل عليك؛ فقل:  
إني صائم! إني صائم!<sup>(101)</sup> إني صائم: بمعنى إني  
منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطع أكلاً  
وشرباً وشهوة، ومنقطع خطرة وفكرة وعبرة،  
ومنقطع جسماً ونفساً! فلم يبق مني شيء لغير  
الله! إني صائم! ويجمع ذلك كله حديث الرسول  
ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي،  
قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: كل  
عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
به! والصيام جنة<sup>(102)</sup> وإذا كان يوم صوم  
أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابه أحد  
أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس  
محمد بيده! لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ<sup>(103)</sup> عند الله  
أطيب من ريح المسك!<sup>(104)</sup> إنه انقطاع عن كل  
صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل  
جدل عقيم أو مراء يجز إلى ذلك، وانقطاع عن  
كل ما يمهّد أو يُذكّر بالشهوات! ومن كان لله لم  
يكن لغيره! حال من الصمت - طيلة اليوم - عن  
كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال

<sup>102</sup> - جنة: أي وفاة.

<sup>103</sup> - الخلوف: الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان.

بسبب الجوع والعطش!

<sup>104</sup> - متفق عليه.

<sup>101</sup> - رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني

رقم: 5376 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 من الاستسلام الكلي لله رب العالمين. حال من  
 التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس  
 في حركة السير إلى الله. فأَي ذِكْرٍ أَذْكَرُ من هذا،  
 وأَي فِكْرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟  
 فليس عجباً أن يخصّص الرب الكريم  
 للصائمين - وللصائمين فقط - باباً من أبواب  
 الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: إن في الجنة  
 باباً يقال له: الرِّيَّانُ، يدخل منه الصائمون يوم  
 القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين  
 الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا  
 أغلق فلم يدخل منه أحد! (105).

— متفق عليه —

194

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 الله وإياك بقوة العزائم في النفس وفي البدن!  
 آمين.  
 فأما المسلك الأول: فهو صيام ثلاثة أيام من  
 كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية،  
 حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام  
 ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال  
 رسول الله ﷺ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر،  
 ورمضان إلى رمضان: صوم النهر وإفطاره! (107)  
 وقال أيضاً: صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من  
 كل شهر: صوم الدهر! (108) وجاء ذلك

107 - رواه مسلم

108 - رواه أحمد وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني،  
 رقم: 3803 في صحيح الجامع.

196

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 ونوافل الصوم في السنة الصحيحة كثير. إلا  
 أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الموزن  
 الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار بينهما،  
 ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما  
 صح في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشروط ألا تنفل  
 على نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلباً،  
 أو بما يؤدي إلى الفتور الكلي ثم الانقطاع! ولا  
 تنس نصيحة رسول الله ﷺ: اكلفوا من العمل ما  
 تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب  
 العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قل! (106) زوّدي

106 - رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر  
 حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

195

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
 مفسراً في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ:  
 صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي  
 أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة،  
 وخمس عشرة. (109) وقد صح أنه عليه الصلاة  
 والسلام كان يلتزمها ورداً تعبدياً. فعن ابن عباس  
 رضي الله عنهما، أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام  
 البيض في سفر ولا حضراً (110).  
 وأما المسلك الثاني فهو: صوم الاثنين  
 والخميس من كل أسبوع، كليهما أو أحدهما،  
 على حسب قدرتك. فقد ثبت قوله ﷺ: تعرض

109 - رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن جابر. وصححه  
 الألباني، رقم: 3849 في صحيح الجامع.

110 - رواه الطبراني، وصححه الألباني، رقم: 1848. في صحيح  
 الجامع.

197



ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض  
عملي وأنا صائم! <sup>(111)</sup> وقد تواتر أن النبي ﷺ  
كان يلتزم ذلك التزاماً؛ فقد صح أنه ﷺ: كان  
يتحرى صيام الاثنين والخميس! <sup>(112)</sup> وفي  
حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: (كان أكثر  
ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقليل له؟ [أي مثل  
عن سبب ذلك] فقال ﷺ: الأعمال تعرض كل

111- رواه النسائي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم:

2959 في صحيح الجامع.

112- رواه الترمذي والنسائي عن عائشة. وصححه الألباني،

رقم: 4897 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
الاثنين وخميس؛ فيفقر لكل مسلم إلا المتهاجرين،  
فيقول: أخروهما! <sup>(113)</sup>

113- رواه أحمد عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 4804

في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

### نبصرة: في صوم المُقَلِّين السابقين!

فإن لم تستطع التزام ورد من المسلمين  
المذكورين؛ لعلّة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل  
المهني؛ فَلَكَ عَوْضٌ عنهما عظيم! وذلك باغتنام  
فرص العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية  
الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء،  
فقد صح فيهما قول الرسول ﷺ: صوم يوم  
عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبله! وصوم  
عاشوراء يكفر سنة ماضية! <sup>(114)</sup> فمن  
التزمهما معاً، أو أحدهما؛ ورّداً لكل سنة؛ كان -  
بعملية حسابية - كمن صام الدهر كله! ولك  
أيضاً في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد

114- رواه مسلم.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد رمضان من  
كل سنة النتيجة عنها وربما أعظم! فقد صح قول  
الرسول ﷺ الصريح المليح: من صام رمضان،  
وأبعده ستاً من شوال كان كصوم الدهر! <sup>(115)</sup>  
ذلك إذن؛ هو الصوم، فَلَكَ السير العجيب!  
بُرَاقُ الأوراد، وواردها السري، وذكرها  
الصّامت! حيث يُعبد الله بالترك لا بالفعل! وما  
أشدّ الترك على النفس وما أعصاه! لو تدري يا  
أيها السالك المحب! أن تترك ما تترك الله يعني  
أنك صرت من أهل! <sup>(116)</sup> فاجعل على أورادك

115- رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة.

116- يجوز استعمال عبارة (أهل الله وخاصته)؛ لما ثبت في  
الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، عن  
النبي ﷺ، قال: (إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
تاجا من الصوم مهما قل؛ تختصر الطريق إلى الله  
فتكن من أهل الريان، متفردا مع الصديقين  
والربانيين!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

### خاتمة

وخاتمة الكلام - يا أخي - فاتحة عمل لي ولك  
إن شاء الله. إذ تحصل لك من هذا الميثاق ثلاثة  
عهود:

العهد الأول: ورّد الذكر

والعهد الثاني: ورّد القرآن والقيام

والعهد الثالث: ورّد البلاغ. وهو ثلاثة

مسالك: أولها المراقبة للصلوات، وثانيها مداورة  
القرآن، وثالثها بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فتعهد نفسك - أيها السالك الخب -

وأصحابك بالقرآن تدبّراً، وبلاغاً. فإن لم تجد لك

أهل الله، وحاصنه! رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم،  
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2165.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

قال الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك  
للمحاسبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن  
والأذكار، ثم مجلس القرآن. إذا وثقت عهدك  
عليها كانت هي ميزان الصدق والوفاء، لعهد الله  
وميثاقه. فهل وفيت؟

فانبت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن  
الخير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:  
(كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوا) (117).  
أي: أداموه والتزموه!

وليسكن مشربك من هذا كله مورد السلف  
الصالح عقيدة صافية، وسلوكا ربانيا، تزينة  
الستوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذكر،

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله  
مجلسا قرآنيا؛ فأوجدّه، فإن لم تتمكن فاسلك ورد  
القرآن فرداً، ذاكراً ومتدبراً.

واحرص على ختمة العمر! وذلك بختم  
القرآن مدارسة. حتى يكون لك ذكره - بعد  
ذلك - سياحة في ملكوت الرحمن، وغذاء متدفقا  
على الجنان، يحیی به القلب أبداً.

واجتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجعل لك  
رفقة من التائبين؛ ولتغرس لك ولهم جذورا  
برياض المسجد، ليستقيم لك رباط الصلاة  
صحبة. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا  
يتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل  
يوم؛ عن جديد صنعك من ذلك.

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مزلقاً  
حرجاً، زلت بقممه أقدام، وتاهت في مسالكه  
أقلام! لما زينه الشيطان خدعةً واستدراجاً، لبعض  
جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتقاء في  
مستنقعات البدع والخرافات.

فاحذَرِ الحَذَرَ! مما لا دليل عليه من كتاب الله  
وسنة رسول الله. فإنما الأوراد عبادات. وقد غلِمَ  
في أصول الفقه: أن مثل هذه الأمور تؤخذ  
بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في  
العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في  
العادات الإذن حتى يرد المنع!)

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من  
عملك الصحيح ظاهراً؛ إلا ما خلص لله الواحد

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
القهار باطننا فاحذر أن تكون من الأخسرين  
أعمالاً، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن  
العظيم: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ  
ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف: 103-104) فابك على  
خطيتك، وفكر في مصرك، فإن كل آت قريب.  
والعاقبة للمتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب  
العالمين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا  
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: 200).  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد  
أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ميثاق العهد ..... في مسالك التعرف إلى الله  
وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن  
الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه  
ولسائر المسلمين، وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد  
الله يوم الأحد: 21 ربيع الثاني 1424هـ / 06/22  
م. 2003.

### فهرس المحتويات

5	مقدمة.....
31	الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه.....
45	تبصرة: كيف توثق العهد؟.....
51	الفصل الثاني: في عهد الذكر.....
53	تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المفردين السابقين!.....
60	تبصرة: كيف تذكر الله؟.....
72	تبصرة: في مسلك الذكر القرآني.....
74	تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (التلقي) ....
85	تبصرة: في مسلك الذكر النبوي.....
95	تبصرة: في مجلس الذكر.....
103	الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام.....

107	تبصرة: في أوقات القرآن.....
114	تبصرة: في قرآن القيام.....
127	الفصل الرابع: في عهد البلاغ.....
129	تبصرة: في المفاتيح الثلاثة.....
141	تبصرة: كيف البلاغ؟.....
145	الفصل الخامس: في المختار من الأذكار.....
184	تبصرة: في بُرَاقِ الأوراد.....
200	تبصرة: في صوم المقلين السابقين.....
203	خاتمة.....
209	فهرس المحتويات.....

انتهى بحمد الله.